

منتدى إقرأ الشقاني

الغيب الألهي عالم يقيني عجيب

شياكر عبد الجبار

الشيء الموجود تستطيع إدراكه أو لا
تستطيع أما المنفي فهو عدم محض...
أين موقع (الغيب) من هذا وذاك...
هذا الكتاب يقدم إجابة...

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى - تموز ١٩٨٥

الطبعة الثانية - مايس ١٩٩٠

فيها إضافات مهمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ»

الآية ٥٩ سورة الأنعام

إهداء

إلى كل إنسان يحترم العقل ويكبر
العلم ، يصفى للحجة ويرضخ للحق ،
إنها دعوة إلى كلمة سواء وهي تبليغ
لأمر الله تعالى...!

لا سبيل لنفي الغيب

ما أشد ظلم الكثيرين لعالم الغيب في هذا العصر..!

ليتهم ينفونه عن طريق العلم والخبرة والإنصاف..!

إنهم ينكرون وجوده لكونهم لا يتلمسونه حساً..!

فهل أنهم يعتبرون كل ما يقع وراء الحس معدوماً..! وهل أنهم يحتاطون لأنفسهم عندما ينكرون العالم الغيبي احتراماً لعقل لا يؤمن إلا بحقائق محسوسة عياناً أو باليد..؟ أم أنهم يحرصون على الطعن بحقيقة الغيب تهرباً من عقيدة يلزمهم الإيمان بها أن يتحملوا تبعات معينة..؟

الجواب إن نفي وجود العالم الغيبي يتم دون علم ودون خبرة ودون انصاف إطلاقاً.. فلو كان المعول عليه هو سبيل العلم والخبرة والإنصاف لما جرؤ أي ناكر على ارتكاب خطأ مقضوح كهذا..!

كيف..؟ أغلب النفاة يزعمون أنهم (علميون) تهجم وقائع ومسلمات (العالم المادي) لأنه مشاهد ملموس ولا تعنيهم (الغيبيات) لأنها أفق مجهول غير محسوس..!

حسناً.. ولكننا نعرض متسائلين:

لم تؤمنون بالعقل وتذهبون الى حد تأليهه أحياناً وأنتم لا ترونه قطعاً مقتصرين على آثار تدل عليه لا يمكن اغفال شأنها..! ولم تؤمنون بالجاذبية وأنتم لا ترونها البتة سوى أنكم تلمسون آثارها..! ولم تؤمنون بالذرة وعنصرها البروتون والنيوترون وأنتم لا ترونها بعين أو مجهر ولكنكم تفترضون وجودها فقط وتبنون على الافتراض نتائج تصدقها آثار الواقع والتطبيق..! ولم تؤمنون بقوة الكهرباء وأنتم لا ترونها ولكنكم ترون ما يحدث من آثار..! وغير ذلك كثير تؤمنون به ولا ترون جرمه حساً مكتفين برؤية الآثار التي تدل عليه فقط..!

إنه تناقض واضح ياهؤلاء تعريه العلوم المادية التي تباهون الناس زوراً بأنكم تتمسكون بقوانينها وتجرون وراء كشوفاتها..! وهو كذب مكشوف أيضاً..!

يذهب أكابر علماء المادة في العصر الحديث إلى أن الشيء المجهول لا يمكن

نفي وجوده بدون دليل يقطع بذلك ، ولو سلغ لأحد عدم الإيمان بالمجهول فإن الزعم بأنه عدم معض فهو أسخط الهراء... (١)

النفي يدل على قصد ووعي ويقين ولذا فهو يستلزم بهائراً من علم وأدلة وبراهين ، ذلك أن الجهل بالشئ لا يدل على أنه عدم... فتعذر من القول الجفاف سعة الخاطئين في عشواء...

الحركات الخمس للكونين وقوانين الجاذبية وملايين الأجرام والمجرات هذه الأشياء - مثلاً - التي اكتشفت حديثاً هل يعني بقاؤها مجهولة حقاً طويلة أنها لم تكن موجودة أصلاً قبل الإكتشاف...؟

كلا بالطبع... وكم من أشياء في هذا الكون لم تكتشف بعد...؟ إنها مجهولة ولكنها ليست عدماً... لنسجل هنا أن عيب التقصير والتقصير تجاه الأشياء المجهولة يقع على الإنسان ولا يدعو البتة الى نكران وجودها من غير دليل...!

وفي الجانب الآخر لتسامل : هل الإيمان بعالم الغيب يعني الإيمان بما لا وجود له أصلاً...؟ لا يستطيع أحد يحترم عقله أن يجيب به (نعم) ، وقصارى ما قد يذهب اليه البعض هو الإدهاء بأن عالم الغيب مجهول... وعندئذ نحن أمام تحري الآثار الدالة يقيناً على وجود هذا العالم...!

قل لي بريك : لو كان عالم الغيب لا وجود له إطلاقاً هل من العقل أن يراد منا الإيمان به...؟ ومن يريد ذلك...؟ رب خلق هذا الكون العظيم وأبدعه وبدبر كل شأن فيه...؟ إن طلباً كذاك لا يصدر من طفل صغير فكيف نعقل صدوره ممن هو خالق حكيم خبير...؟

ذلك إذن هو اعصى المستحيلات... ومن هذا يخلص لنا أن الغيب موجود مجهول ، والله عز وجل المحيط بالكون كله هو الذي ينبتنا بعالم الغيب والكثير من ملامحه ويريدنا أن نؤمن به...!

يبدو أننا قد اقترينا من العلة ، إنها تكمن في الإيمان بالله تعالى .. فمن وجد هذا الإيمان إلى قلبه سبيلاً اتضحت الصورة بكل ملامحها أمامه حيث أنه يستيقن دلائل الغيب مثلما يرى حقائق العالم المشاهد المحسوس...!

(١) ينظر (الله يتجلى في عصر العلم) ص ١٤٤ موضوع (وجود الله حقيقة مطلقة) للعالم الفسولوجي أندرو كونو.

وعندما أقول (يستيقن) دلّلت الغيب فإني أقصد معنى العبارة تماماً ،
فليس هو الإيمان التقليدي ، وليس هو التسليم بلا معرفة ، وليس هو اتباعاً لغير
المعقول...!

لنتصفح إذن قصة الغيب المدونة في القرآن الكريم بكل عناصرها لكي نقف
على جليلة الأمر... ودع عنك القلق وشيخ اليأس وكن مطمئناً وأنت تتابع تلك
القصة لأنها مسطورة في كتاب يقول عنه المنزل الحكيم « لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه »^(٢) و« كتاب أحكمت آياته »^(٣) و« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
لحافظون »^(٤).

إن قصة الغيب الالهي مجملة بين دفتي هذا الكتاب المجيد... لماذا أوردت
فيه...؟ لأنه إجمالاً يعتبر الإيمان بهذا الغيب شرطاً لعقيدة التوحيد المكتملة
بالإسلام دين الله تعالى للناس جميعاً على هذا الكوكب إلى يوم القيامة...!
فلنتقف على حدود الغيب المجمع في القرآن...! وما أروع كلمة (حدود)
فكانك تقف أمام حصن عالٍ منيع يراد منك أن تسلم بأنه موجود دون السماح لك
بالولوج فيه الآن...! ما أنت فاعل...! أتنتفي وجود الحصن...! أم تقر بوجوده
وتمسك عن لمس التفاصيل المخبأة...!

تعال أولاً نتابع القصة موظفين العلم والخبرة والإنصاف ظفراً بالحقيقة... ولا
تساورني ذرة شك بأن شأننا آخر سيكون لك نحو الغيب الالهي فيما بعد إن توفر
في قلبك صفاء نية وخلوص قصد وحسن توجه...!

اللهم لا سهل إلا ما يسره فقر كواهلنا واشدد عزائمنا وأحط خطانا بالسداد
وحف طريقنا بالتوفيق ومدنا بفيض الرضوان إنك حسبنا ونعم الوكيل... ربنا لك
الحمد والشكر والثناء حق قدرك عدد ما تعلم أنه الأكثر والأدوم ، وصل وسلم وبارك
على سيدنا محمد الرسول وعلى آله ومن استمسك بنهجه القويم إلى يوم القيامة
كما يليق بشأنه العظيم عندك عدد ما خلقت في الكون الأوسع وما أنت فيه خالق.

شاكر عهد الجهار شاكر

العزاوي

بغداد/ صفر - ١٤٠٤ هـ

تشرين الثاني - ١٩٨٣ م

(٢) الآية ٤٢ سورة فصلت. (٣) الآية ١ سورة هود. (٤) الآية ٩ سورة الحجر.

غيب معقول الله

وجوده

الله غيب ، بمعنى أنه غير ملامس...!

ولكن المثير للإنتباه أننا نجد برهانه على وجوده يخاطب كل ما لدينا من حواس وأحاسيس ويهزها بقوة من الأعماق حتى لا يدع في النهاية أي شك يساور الإنسان العاقل الواعي الفطن النزيه وهو يسلم بأن الله تعالى حقيقة تملأ كل نواحي الوجود...!

وفي هذا الأمر بضع ملاحظات :

الأولى - البرهان تولاه هو ، وهذا شيء عظيم الدلالة.

الثانية - لم يجعل الغيب برهاناً أكبر على وجود الغيب.

الثالثة - جعل الحواس دليلاً الى الغيب.

الرابعة - بضدها تتميز الأشياء (الغيب والشهادة).

الخامسة - خلق يقود الى خالقه .

السادسة - الخالق أعلم بأي المخلوقات يحاورك بلوغاً للإيمان.

السابعة - هو أعرف بمواطن التأثير لديك .

فلنستمع الى كلماته تبارك وتعالى تمثيلاً :

«الحمد لله رب العالمين»^(١) .. مستحق الحمد كله .. لماذا...؟ لأنه يربيك

أيها الإنسان إمداداً بالنعم الجليلة القدر وفي طبيعتها نعمة الوجود ، ولست وحدك

وإنما هو يتولى العالمين بنعمه فهو ربهم الخالق المدبر الحقيق بالاستعلاء...!

نعم تناسب جداً حاجة الإنسان ، بل إنها تأتيه بقدر يدل على نظر كلي

واقترار شامل ، وإن حاجة قد تتوقف عليها حياة الإنسان وهو لا يدري فإذا هي

تنقاد اليه ببسر واذعان وتسد الثغرة فيمضي كل شيء وفق ما يرام دون ضجيج

ويلا فوضى...!

من فعل هذا...؟ نسمة الهواء - مثلاً - وشربة الماء وكثير كثير يفوق العد

والإحصاء ، هل تحسنا...؟ لا تقل لم أتحسس أهمية تلك النعم وسواها لأثك بهذا

(١) الآية ١ سورة الفاتحة.

الزعم تشير الى موت حواسك بينما هي يقظة عند التمتع ، فلم تدعي موتها عند
الاقتراب من صاحب النعم الجدير بكل الحمد والعبادة ١١..

ويقول تعالى : «والله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على
العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات
لهلكم بقاء ربحكم توقنون.. وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن
كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون.. وفي الأرض قطع متجاورات ، جنان من اعناب وزرع ونخيل صنوان
وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك
لآيات لقوم يعقلون» (٢).

قدرته

إله موجود بتلك العظمة أحتاج كثرة دلائل على قدرته ١١.. لو لم يكن
مقتدراً دون نظير وبلا شريك لما كان إلهاً ١١..

ورغم كل الوضوح يسوق اليك آيات مثل قوله تعالى : «وما من دابة في
الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين» (٣)..
هو خلق كل دابة وخلق الأرض أيضاً وقد تكفل بالرزق اللازم المناسب للجميع ، فهل
ثمة أحد سواه يقدر على ذلك ويدعيه ١١..

لا أحد إلا هو يستطيع أن يخلق أي دابة ولو كانت غملة ١١.. ولا أحد إلا إياه
يستطيع أن يخلق حبة قمح واحدة فقط ١١.. ولا أحد عداه يستطيع أن يتكفل برزق
أي مخلوق وإنما قد يتسبب في ذلك لا أكثر ١١..

أنت تعطيني - مثلاً - رغيف خبز ، هذا صحيح ولكنك لم تخلق الحب ولم
تنبتة ولم تسقه ماء أنت أوجدته ولم تجعله قمحاً يصلح للطحن والخبز والأكل إنما
الله تعالى هو الذي أنجز ذلك كله وبإعجاز تام يأسر العقول ١١..

«بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون» (٤) .. هو

(٢) الآيات ٢-٤ سورة الرعد.. وتنظر الآيات الدالة على وجود الله تعالى في (تفصيل آيات
القرآن الحكيم) ص ١٢٨ و ١٢٩ ، آيات كلها تحرك حواس الإنسان وتشدها بربه إذا هو
أمن النظر فيها وتدبر.

(٣) الآية ٦ سورة هود .

(٤) الآية ١١٧ سورة البقرة.

المخالق على غير مثال سبق.. إنه المنفرد بقدرة لا يعيقها مستحيل ، فهو يقول
 للشئ كن وإذا هو كائن مثلما أراد بالضبط .. هكذا القدرة وإلا كيف تكون؟!..
 «ولله ما في السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً»^(٥)..
 الأرض التي ملأت حياتك أيها الإنسان إنها لله بكل محتوياتها يتحكم فيها كيف
 يشاء ويصرف أمورها وفق ما يريد... وليست قدرته تقتصر على هذا الجرم وحده
 وإنما تهيمن على السموات كذلك... وما أعظم السموات أسراراً وسعة وأشياء...
 وليس ذلك فقط ، باختصار إنه بكل شيء محيط...!

هل في القدرة معنى أوسع من الاحاطة...؟!
 وتأمل جيداً ملامح أخرى للقدرة حيث يقول تعالى :

«وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط
 من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب
 مبين.. وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرت حتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى
 أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون.. وهو القاهر فوق عباده
 ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون.. ثم
 ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين.. قل من ينجيكم من
 ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من
 الشاكرين.. قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون.. قل هو القادر
 على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق
 بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرّف الآيات لعلهم يفقهون»^(٦) «ألا إن لله من في
 السموات ومن في الأرض»^(٧) «قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار»^(٨) .

فهتونه

إله يملأ الحواس وجوده ويمتد سلطان قدرته الى كل شيء قريب أو بعيد معلن
 أو مستتر ضخم أو دقيق في كون عظيم فوق التصور والحسبان ، وله عليك أيها

(٥) الآية ١٢٦ سورة النساء.

(٦) الآيات ٥٩-٦٥ سورة الأنعام.

(٧) الآية ٦٦ سورة يونس.

(٨) الآية ١٦ سورة الرعد.. وتتنظر الآيات الدالة على قدرة الله تعالى في (تفصيل آيات القرآن
 الحكيم) ص ١٤٩-١٦٣ ، وكلما أحسن المرء تأمل هذه الآيات لاح أمامه أفق أعظم
 للاقتدار الإلهي.

الإنسان نعم في كل لحظة لا تعد ولا تحصى ، وقد بعث الرسل والأنبياء ومعهم كتب الهدى والتكليف أترأه يدعك في الحياة سدى..؟ أو إذا عصيت إرادته أيسكت عنك بلا مؤاخذه..؟

أصبح أن تعرف إلهاً هو الله تعالى بلا التزام نحوه..؟
ثم أتعقل حقاً أنك ستفقد من طائلة القضاء والحساب أمام ، من..؟ فاطر السماوات والأرض القوي العزيز الذي هو أقرب اليك من جبل الوريد وإذا أخذك لم يفلتك وإذا حق عليك عذابه فالويل لك إذ تقول ليتني لم أولد ولم أكن شيئاً فهيها..؟

يقول تعالى : «أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً»^(٩) «واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون»^(١٠) «إن إلى ربك الرجعى»^(١١).

يسلم له من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وترفض أنت الإسلام له..؟
من تكون يا هذا..؟ اعمل ماشئت فما ربك سبحانه بغافل عن كل ما تجترح..؟
أوليس المصير اليه..؟ أين المفر إذن..؟

الأقدار

الإحياء والإماتة

ينبغي أن تتساءل: من أعطاني الحياة..؟ وهل أنها تمنح بلا إرادة وتوافق..؟ ومن القادر فعلاً على إحداث هذا الأمر العظيم..؟
يقول تعالى : «قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق»^(١) «وهو الذي أحياكم»^(٢) .. ربما تقول : كيف..؟ الجواب: «والله أنبتكم من الأرض نباتاً»^(٣).
أين هي المصادقة وعدم القصد..؟ أين هو العبث وعدم الإرادة..؟ فكونك كالنبات أصله من بذر غرس وأحيط بوضع يساعد على الإنبات وأعطى لوازم النمو

(٩) الآية ٨٣ سورة آل عمران. (١٠) الآية ١٢٣ سورة هود.
(١١) الآية ٨ سورة العلق .. وتنظر الآيات الماثلة في (تفصيل آيات القرآن الحكيم) ص ٩٢٨-٩٦٨. (١) الآية ٢٠ سورة العنكبوت. (٢) الآية ٦٦ سورة الحج.
(٣) الآية ١٧ سورة نوح.

والصلاح وتحقق كل المقاصد الحسنة ليجزم بنفي المصادفة واستبعاد عدم الإرادة ويدل على الخالق أوضح دلالة...١٠

أتدري أن جسمك والنبات مكونان من أصل واحد هو مادة الأرض بعناصرها المعروفة كالماء والملح والحديد والفحم والرصاص وغيرها ، وأن جسمك والنبات يغذيهما ثدي الأرض الواحد كذلك بعطائه الضروري المناسب لكل منكما...١٠

ما أروع ذلك التشبيه الدقيق «والله أنبتكم من الأرض نباتاً»...١٠ أوليس هو تشبيه الخالق سبحانه الخبير بالإنسان الخبير بالأرض...١٠؟ تبارك الله العظيم...١٠

كيف يكون وضوح الأمر إذا تكلم الخالق إياه من وراء الغيب عبر كتابه الخالد قائلاً: «قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون» (٤).

أفلا تتضح معالم الصورة وتزول بقايا اللبس...؟ نعم...! «ولكن أكثر الناس لا يعلمون» فلو أنهم نالوا العلم الضروري الصحيح لما كان هناك حيرة وقلق وضياح...١٠

وبالتالي دعنا نتساءل: أفلا يملك الإماتة من يملك الإيجاد والنشأة والتدبير...؟! إن الهدم أقل عناءً من البناء ، أليس كذلك...؟! وفي المنطق الإلهي فإن الأمر ليس مجرد هدم بعد بناء...١٠

يقول تعالى: «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور» (٥)... هو جل شأنه خلق الموت والحياة لأهداف كبرى تليق بالإله العظيم...! خلق بشراً ليكتسب في حياته العمل الحسن فيجد من ربه أخيراً غفران التقصير وكرم الجزاء ، وإن هو أساء فإنه لا يضر رباً هو القوي العزيز في ملكه وإنما على نفسه يجني...١٠

ولماذا يعصي الإنسان إلهه الكبير المتعال ويفرط في جنبه ويعبث بنعم الحياة وفي مقدمتها نعمة الوجود ولايبالي وهو عارف مستيقن أنه الى الموت يسير كل لحظة...؟!١٠

«كل نفس ذائقة الموت» (٦) و «أينما تكونوا يدرككم الموت» (٧) «والبنا

(٦) الآية ٣٥ سورة الانبياء .

(٧) الآية ٧٨ سورة النساء .

(٤) الآية ٢٦ سورة الجاثية .

(٥) الآية ٢ سورة الملك.

ترحمه»^(٨) الموت قادم لا محالة... والى الله تعالى المصير... فعالم العسبان
وتفريط والعيب ونحن نعدو سريعاً إليه...!

تصرف أمور الكون

والتدبير الإلهي لا يقتصر على الإنسان ، إنه يتناول كوناً لا نرى له حدوداً
ولن يدرك مخلوق أطرافه...!

يقول تعالى : « ألم تر أن الله سخر لكم مافي الأرض والفلك تجري في البحر
بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم »^(٩)
« وهو على كل شيء وكيل »^(١٠) « وكل شيء عنده بمقدار »^(١١) « إن تك مثقال حبة
من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله
لطيف خبير »^(١٢).

ما من شيء ولو كان مثقال حبة من خردل في جوف صخرة أو في مكان
قصي إلا هو واقع تحت طائلة التصريف الرباني... فكم في السماوات والأرض
والكون كله من مخلوقات...! وكم هناك من أشياء وجدت تسخيراً...!
وليس هذا فقط... وإنما يتم كل الخلق والتدبير والتحكم بقدر يوصف بأنه
منتهى الدقة والضبط والإحكام... فالذرة على ضآلتها لا تزيد أو تنقص إلا في إطار
نظام شديد الصرامة رفيع المستوى يصنع العجائب...!

عدل إلهي

كل شيء يصرفه الخالق عز وجل بالقسط فلا ظلم ولا جور ولا طغيان ،
وليس هذا بافتراض وإنما سمت العدل الإلهي مشاهد في كل نواحي الكون ، ولو أن
أفعال الوجود كانت خارجة عن ضوابط العدل وموازينه لما استقام الخلق...!
لماذا ؟ لأن الله تعالى هو الحق وأقام ملكه على الحق...! « وهو الذي خلق
السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق »^(١٣).

ولقد جعله صلب رسالاته : « قل أمر ربي بالقسط »^(١٤) « وأقسطوا إن الله
يحب المقسطين »^(١٥) « والسمااء رفعها ووضع الميزان.. ألا تطفوا في الميزان..

- | | |
|------------------------------|-----------------------------|
| (٨) الآية ٣٥ سورة الانبياء . | (١٢) الآية ١٦ سورة لقمان. |
| (٩) الآية ٦٥ سورة الحج. | (١٣) الآية ٧٣ سورة الانعام. |
| (١٠) الآية ٦٢ سورة الزمر. | (١٤) الآية ٢٩ سورة الاعراف. |
| (١١) الآية ٨ سورة الرعد. | (١٥) الآية ٩ سورة الحجرات. |

وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان» (١٦) «وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى» (١٧) .. العدل أولى بالاعتبار ، فالقربى لاتزن شيئاً الى جواره إذا تعلق الأمر بكلمة تنطقها تتوقف عليها سلامة حقوق يهددها الضياع والنهب والطمس..!

فماذا بعد العدل إلا فساد القيم واضطراب المجتمع..؟

حتى وشيعة القربى تنهار في النهاية إن حلت القيم الفاسدة في موضع العدل، فلا تقل (أريد رعاية القربى ولا بأس إن تم ذلك على حساب العدل مادامت مصلحة تتحقق)..! لأن شبح الفساد إذا خيم واستقر التهم الأخضر واليابس ، ويصل الأمر الى أن يأكل القريب حقوق قريبه حرصاً على مطمع تافه مادام العدل غائباً وسلطان الفساد مترعباً ! فصل بين الناس بأنياب طويلة..!

وعندما تقيم أيها الإنسان دولة فوق الأرض تطبق العدل بحذافيره كما أوصى الخالق سبحانه ويبيّن فستتصور يقيناً من خلال هذه الظلال الوارفة أي كون عظيم يسوسه ربك عز وجل بالقسط.. وكذلك عندما تحيد عن العدل وتقيم لفساد القوانين دولة فستتصور العقلاء يقيناً من خلال غابة يعيش فيها البشر وحوشاً أي كون عظيم هو الحالي من فساد القوانين والمنيع بسيادة العدل ، ومن هنا يستشهدون بسلامته من الاضطراب والانهيار منذ الأزل..!

مشيئة الخالق

إنها إرادة الخالق الأحد جل جلاله تسري وتنفذ كيف يشاء وحيث يريد وله الخلق والأمر» (١٨) «لا معقب لحكمه» (١٩) وبفعل الإرادة العظمى هذه أقيم الكون كله وهو ماضٍ قدماً حيث اختار له مالك الزمام سبحانه «قل إن الأمر كله لله» (٢٠) . فلا تقل مثلاً (إذا أردت قتل فلان لا أحد يستطيع الحيلولة دون ذلك) وإنما عليك أن تتذكر أن حجراً قد تقذف به رجلاً فيخمر صريعاً في الحال ورصاصة قد تطلقها على آخر تصيبه بها ولكنه لا يموت ، فأمر انتزاع الحياة لا يعود لك ولا لحجر ولا لرصاصة وإنما هو بيد الله تعالى وحده القادر على جعل الحجر مميتاً والرصاصة لاثميت وجعل هذا الجسم يتمالك شأنه أمام الخطر الداهم وذاك يتهاوى بفعل شبح أو بدون

أي خطر عارض أحياناً..!

- | | |
|------------------------------|-------------------------------|
| (١٦) الآيات ٧-٩ سورة الرحمن. | (١٩) الآية ٤١ سورة الرعد. |
| (١٧) الآية ١٥٢ سورة الانعام. | (٢٠) الآية ١٥٤ سورة آل عمران. |
| (١٨) الآية ٥٤ سورة الاعراف. | |

يقول تعالى : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » (٢١) « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً » (٢٢) .. قوانين الحياة والموت وكل ما يرتبط بهما من أفعال ومقادير إنما تسري بإرادة الخالق جل وعلا وحده ..!

مسؤولية المخلوق

وإذا كانت إرادة الخالق تهيمن على الكون كله فهل يعني هذا أن الإنسان مسلوب الإرادة يعمل ويمضي بلا اختيار ويهتدي ويضل بلا اختيار ويكافأ ويعاقب بلا اختيار ..؟ لو لم يعط الإنسان إرادة لما كان ثمة داع لإرسال النبيين وإنزال كتب الهدى والوعد بالمكافأة والتوعد بالعقاب ..!

قد يقال إن الله تعالى ذكر في كتابه « يضل من يشاء ويهدي من يشاء » (٢٣) .. فما يصنع الإنسان نحو الإرادة العظمى هذه عندما تقتضي إضلال هذا وهداية ذاك ..؟!

إن معنى الهداية والاضلال هنا يدل على أن الله تعالى هو الذي أوجد قوانين السبب والمسبب وأطلق لها حرية العمل في الوجود .. فمن جاع أكل فشبع ، ومن لم يأكل لن يحصل له الشبع ، وكذلك المؤمن بالله يهتدي ومن جده يضل ، وأي عمل صالح يعقبه ناتج من جنسه وأي عمل سيئ يعقبه ناتج مماثل ..!

اقرأ هذه الآيات : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين » (٢٤) .. « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » (٢٥) .. « ويهدي إليه من أناب » (٢٦) .. « والذين اهتدوا زادهم هدى » (٢٧) .. أولئك زاغوا ومن ثم أزاغ الله قلوبهم ، وهؤلاء اهتدوا ومن بعد زادهم الله هدى ..!

إنك لن تجد في القرآن - مثلاً - آية تقول إن الله تعالى يضل من أراد الهداية وحرص عليها أو يهدي من أراد الضلال وتعلق به فهذا محال في سنن الخالق وطبيعة الوجود كله ..! (٢٨)

(٢١) الآية ١٧ سورة الأنفال. (٢٤) الآية ٥ سورة الصف. (٢٧) الآية ١٧ سورة محمد.

(٢٢) الآية ١٤٥ سورة آل عمران. (٢٥) الآية ٣٥ سورة غافر.

(٢٣) الآية ٩٣ سورة النحل. (٢٦) الآية ٢٧ سورة الرعد.

(٢٨) للتوسع تنظر (رسالة في القدر) للفقير التابعي الحسن البصري وجهها الى الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان ، نصها الكامل في (الفكر الاخلاقي العربي) للدكتور ماجد فخري.

الملائكة

وجودهم

يقول تعالى: «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون.. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»^(١) «وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً»^(٢) «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، أشهدوا خلقهم، ستكتب شهادتهم ويسألون»^(٣) «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نصبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون.. وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون.. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين»^(٤) «والذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به»^(٥) «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»^(٦) «ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ.. فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط»^(٧) «والصافات صفاً.. فالزاجرات زجراً.. فالتاليات ذكراً.. إن إلهكم لواحد»^(٨).

وفي الحديث النبوي (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم»^(٩).. فنفهم:

أولاً - الملائكة عالم مستقل لا يشبه عالمنا الإنساني وطبيعة خلقهم من مادة النور تختلف عن طبيعة خلقنا.

ثانياً - ليس فيهم ذكور وإناث.

-
- | | | |
|-------------------------------------|-------------------------------|----------------|
| (١) الآيتان ٢٦ و ٢٧ سورة الانبياء.. | (٥) الآية ٧ سورة غافر.. | (٩) رواه مسلم. |
| (٢) الآية ٦٤ سورة مريم. | (٦) الآية ٦ سورة التحريم. | |
| (٣) الآية ١٩ سورة الزخرف. | (٧) الآيتان ٦٩ و ٧٠ سورة هود. | |
| (٤) الآيات ٣٠-٣٤ سورة البقرة. | (٨) الآيات ١-٤ سورة الصافات. | |

- د - خفقوا قبل الإنسان.
- هـ - البشر أفضل منهم.
- و - مخلوقات كريمة لا يسبقون ربهم بقول ويعملون بأمره.
- ز - طبيعتهم جبلت على الإيمان الكامل.
- ح - لا يعلمون الغيب إلا ما شاء الله أن يطلعهم عليه.
- ط - اقتدارهم على الحركة يفوق التصور الإنساني.
- ي - إمكانهم التمثل بالصور الحسية كشكل الإنسان مثلاً.
- عاشراً - تكليم الله تعالى لهم.
- حادي عشر - قسم الله تعالى بهم.

كبار الملائكة وعمومهم

يقول تعالى: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير»^(١٠) «الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير»^(١١) «ومانا إلا له مقام معلوم»^(١٢) «وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى»^(١٣).. فنفهم:

أولاً - إن أقدارهم تتفاوت.

ثانياً - إنهم أولو أجنحة بعددها يتميز كل واحد منهم قدراً وقدره.

ثالثاً - يصطفي الله منهم رسلاً إلى الأنبياء والصدّيقين.

رابعاً - لبعضهم شفاععة عند ربهم بعد إذن ومشيئة ورضى.

أمين الوحي

يقول تعالى: «قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصداقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين.. من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين»^(١٤) «وإنه لتنزيل رب العالمين.. نزل به الروح الأمين.. على قلبك لتكون من المنذرين»^(١٥) «قل نزله روح القدس من ربك بالحق»^(١٦).

(١٠) الآية ٧٥ سورة الحج. (١٣) الآية ٢٦ سورة النجم. (١٦) الآية ١٠٢ سورة النحل.
(١١) الآية ١ سورة فاطر. (١٤) الآيتان ٩٨ و ٩٧ سورة البقرة.
(١٢) الآية ١٦٤ سورة الصافات. (١٥) الآيات ١٩٢-١٩٤ سورة الشعراء.

وسأل الحارث بن هشام رضي الله عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال :
 يا رسول الله ، كيف يأتيك الوحي..؟ قال : (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس
 وهو أشده عليّ فيفصم^(١٧) عني وقد وعيت عنه^(١٨)) ما قال ، وأحياناً يتمثل لي
 الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول^(١٩).. فنفهم:
 أولاً - جبريل عليه السلام هو أعلى الملائكة مقاماً.
 ثانياً - هو ناقل رسالة الإسلام وحياً الى خاتم الأنبياء.

عملهم

يقول تعالى : «له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر
 الله»^(٢٠) «إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد.. ما يلفظ من قول إلا
 لديه رقيب عتيد»^(٢١) «وأن عليكم لحافظين.. كراماً كاتبين.. يعلمون ما
 تفعلون»^(٢٢) «إن كل نفس لما عليها حافظ»^(٢٣) «وهو القاهر فوق عباده ويرسل
 عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون»^(٢٤) «الذين
 تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون»^(٢٥)
 «قل بترواكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون»^(٢٦) «إن الذين قالوا
 ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي
 كنتم توعدون.. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي
 أنفسكم ولكم فيها ما تدعون»^(٢٧) «هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم
 من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيماً»^(٢٨) «ويستغفرون للذين آمنوا ربنا
 وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب
 الجحيم»^(٢٩) «إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة
 مردفين.. إذ يوحى ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في
 قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان.. ولو ترى إذ

- | | |
|----------------------------------|---|
| (١٧) أي يقطع. | (٢٣) الآية ٤ سورة الطارق. (٢٩) الآية ٧ سورة غافر. |
| (١٨) أي حفظت. | (٢٤) الآية ٦١ سورة الانعام. |
| (١٩) رواه البخاري. | (٢٥) الآية ٣٢ سورة النحل. |
| (٢٠) الآية ١١ سورة الرعد. | (٢٦) الآية ١١ سورة السجدة. |
| (٢١) الآيتان ١٧ و ١٨ سورة ق. | (٢٧) الآيتان ٣٠ و ٣١ سورة فصلت. |
| (٢٢) الآيات ١٠-١٢ سورة الانفطار. | (٢٨) الآية ٤٣ سورة الاحزاب. |

يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق» (٣٠)
« ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون» (٣١) «لاتبقي ولا تذر.. لواحة للبشر.. عليها تسعة عشر.. وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا» (٣٢) «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» (٣٣) «ونادوا يامالك ليقتض علينا ربك قال إنكم ماكثون» (٣٤) «جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب.. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» (٣٥) «فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى» (٣٦) «إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمك المسيح عيسى بن مريم» (٣٧) «قالوا يالوط إنا نرسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل» (٣٨) «إن الله وملائكته يصلون على النبي» (٣٩) .. فتفهم :

أولاً - قواهم هائلة.

ثانياً - تسبيحهم بحمد ربهم وتقديسه.

ثالثاً - حفظ كل ما يصدره الإنسان واحصاء الحسن والسيئ.

رابعاً - الدعاء بأن يخرج الناس من الظلمات الى النور.

خامساً - استغفارهم للمؤمنين والدعاء لهم بالرحمة.

سادساً - اعانتهم الذين آمنوا على عدوهم.

سابعاً - تنزلهم على الأنبياء والصالحين بالبشائر والوحي.

ثامناً - صلاتهم على نبينا الكريم.

تاسعاً - حملهم عرش الرحمان تبارك شأنه.

عاشراً - توكيلهم بقبض أرواح الأدميين.

حادي عشر - تحييتهم الأنفس الطيبة حين يتوفونها.

ثاني عشر - تبشيرهم المؤمنين بحسن المنقلب بعد الموت.

ثالث عشر - ترحيبهم بأهل الجنة وتهنئتهم بالفوز.

(٣٠) الآيات ٩ و ١٢ و ٥٠ سورة الانفال (٣٤) الآية ٧٧ سورة الزخرف.

(٣١) الآية ٢ سورة النحل. (٣٥) الأيتان ٢٣ و ٢٤ سورة الرعد. (٣٨) الآية ٨١ سورة هود.

(٣٢) الآيات ٢٨ - ٣١ سورة المدثر (٣٦) الآية ٣٩ سورة آل عمران.

(٣٣) الآية ١٧ سورة الحاقة (٣٧) الآية ٤٥ سورة آل عمران (٣٩) الآية ٥٦ سورة الاحزاب.

رابع عشر- إهانتهم الكفار وضريرهم عند الوفاة.

خامس عشر- تعذيبهم أهل النار.

لزوم الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة جزء أساس في عقيدة الإسلام.

يقول تعالى : «ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة» (٤٠) «ومن

يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً» (٤١).

إن كانت هناك مجرة - مثلاً - تقع وراء الحسبان لا يطلها حس بشري فليس

ثمة داع ضروري للإيمان بوجودها مادامت لا تحس هذا الوجود ، أما الشأن نحو

الملائكة فيختلف عندما يلزمك الله تعالى الإيمان بوجودهم وأنت لا تحس هذا الوجود

المغيب عنك..١

فلو أنك أحسست بوجودهم مشاهدة لا أعتقد أن مبرراً يبقى لاختبارك

بالتكليف الرباني لأنك ستجد برؤيتك للملائكة لوازم الإقبال على الطاعة كلها ومن

ثم تعزف عن المعصية قماماً وبذلك تنتفي مقاصد كثيرة من إيجاد الحياة والإنسان

على الأرض..١

قد يقول البعض : إن هذا حصل لأبي البشرية آدم عليه السلام كما ورد في

نصوص القرآن والسنة فلماذا توقف الأمر عند الإنسان الأول واقتصر من بعد على

الأنبياء والصديقين ولم يشمل به جميع الناس..؟

كانت هناك حاجات ضرورية قصوى ، فأدم وهو بداية العالم الإنساني نبي

ورسول ثم هو إنسان يحتاج الى تعليم مستفيض لمستلزمات الحياة ومطالب وضع

اللبينات الأولى للعالم الإنساني الجديد ، أما بالنسبة للأنبياء والرسل والصديقين

فهو وحي ينزله الحكيم الخبير تبياناً لمنهج المقرر وإعلاماً لحصول شيء كبير الشأن

بالنسبة للصديقين كما حصل مع السيدة مريم مثلاً..١

إن الملائكة خلق طاهر كريم رفيع المستوى إذ هم الملائكة الأعلى المقدس فإن

يرسلهم الله تبارك وتعالى الى الأنبياء والرسل والصديقين لهو مما يدل على أن

هؤلاء الكرام الذين أرسل اليهم الملائكة لهم أناس موضع أسمى الكرامة وعلو الشأن

عند رب العزة والجلال ، ولا يخفى الأثر العظيم لإرسال ملائكة في ملامح بشر

مثلاً في تثبيت المرسل اليهم وإفاضة الإيناس عليهم والتخفيف من حدة المشاعر

(٤٠) الآية ١٧٧ سورة البقرة. (٤١) الآية ١٣٦ سورة النساء .

والأحزان التي تواجههم بسبب نهوضهم بالأعباء الضخمة كالتبليغ عن الله وحمل الناس على الإيمان بربهم...١٠

أما كونك تؤمن بالوجود الحقيقي للملائكة رغم أنك لاحسبه اتباعاً للمنهج الالهي فأمر ضروري لعملية الاختبار لاسيما بعد أن عرفت عن طريق الوحي الكثير من ملامح وجودهم وطبيعة خلقهم والاعمال التي يكلفهم الله تعالى بها في أرجاء الكون ونحوك بوجه خاص ، فينبغي أن يزداد ارتباطك وثوقاً بالمعبود جل وعلا بفعل إيمانك بعالم الملائكة المحيط بوجودك كله والمتابع لكل صغير من اعمالك وكبير إحصاء بأمر ربك الرقيب الحسيب...١١

هكذا الإيمان يراد...١٢ ولقد «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله» (٤٢) .. رسول هو نموذج كامل ونحن بهديه مقتدون...١٣

الجن

من هم؟

يقول تعالى : «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون.. والجان خلقناه من قبْل من نار السموم» (١) «حور مقصورات في الخيام.. قبأي آلاء ربكما تكذبان.. لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان» (٢) «وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون» (٣) «وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقاً.. وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً.. وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً» (٤) .. فنفهم:

أولاً- الجن خلق من نار.

ثانياً- خلقهم سبق إيجاد الإنسان.

ثالثاً- فيهم الذكور والإناث.

رابعاً- حصول التزاوج والتناسل بينهم.

خامساً- عددهم أكثر من البشر.

(٤٢) الآية ٢٨٥ سورة البقرة. (٣) الآية ١٧ سورة النمل.

(١) الأيتان ٢٦ و ٢٧ سورة الحجر. (٤) الآيات ٦ و ٨ و ٩ سورة الجن.

(٢) الآيات ٧٢-٧٤ سورة الرحمن.

سادساً- امتلاكهم الخواص القوية جداً كالسمع مثلاً.

سابعاً- قدرتهم على الحركة والتنقل السريع.

ثامناً- انتشارهم لا يقتصر على الأرض وإنما يمتد الى خارجها.

ولقد توصل العلماء في مجال البحث المختبري حديثاً الى وجود عالم غير مرئي تسكنه مخلوقات تتكون من مادة تختلف عن مادة عالمنا المرئي وأنها ذات حرارة رهيبه^(٥).

تكليف الجن

هل أنهم مكلفون...؟

يقول تعالى: «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون»^(٦) «يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين»^(٧) «سنفرغ لكم أيها الثقلان.. فبأي آلاء ربكما تكذبان.. يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفلون إلا بسلطان»^(٨).

فالجن والانس كلاهما مطالب بالعبادة قد آتاه الرسل واطلع على الآيات وحذر من الآخرة حيث يقف الجميع للحساب لا يستطيع أحد أن يفلت من قبضة المنتقم الجبار.

فيهم المؤمن والكافر

يقول تعالى: «وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً.. وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً.. وأنا لما سمعنا الهدى آمناً به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً.. وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك صعدوا مشرقاً.. وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً»^(٩).

«وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين.. قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه يهدي الى الحق وإلى طريق مستقيم.. يا قومنا أجببوا

(٥) ينظر (عالم الجن والملائكة) ص ١٣ (٨) الآيات ٣١-٣٣ سورة الرحمان.

(٦) الآية ٥٦ سورة الماربات. (٩) الآيات ١١-١٥ سورة الجن.

(٧) الآية ١٣٠ سورة الانعام.

داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم.. ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين» (١٠).

يروى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم.. انطلق صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجع الشياطين الى قومهم فقالوا : مالكم؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب.. قالوا : ماذلك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها ، فمر نفر الذين أخذوا تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم وقالوا : «ياقومنا إنا سمعنا قرآناً عجيباً يهدي الى الرشd فأما به ولن نشرك بربنا أحداً» فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم «قل أوحى الي أنى استمع نفر من الجن».

وقال الحافظ البيهقي : وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو أول ما سمعت الجن قراءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمت حاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرههم ، ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز وجل.

وهذا يشير الى ما رواه أحمد ومسلم وابو داود والترمذي عن علقمة قال : قلت لابن مسعود : هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد؟ قال ما صحبه منا أحد ولكن قد افتقدناه ذات ليلة وهو بمكة فقلنا : اغتيل أو استطير ، ما فعل به؟ فبتنا بشر ليلة بات بها قوم حتى إذا أصبحنا أو كان في وجه الصبح فإذا نحن به يجيء من حراء ، قال : فذكروا له الذي كانوا فيه ، فقال : (أتاني داعي الجنة فأتيتهم فقرأت عليهم) فانطلق فأرانا أثرهم وأثر نيرانهم ، وسألوه الزاد ، فقال : (لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم) (١١).

(١٠) الآيات ٢٩-٣٢ سورة الاحقاف.

(١١) ينظر (العقائد الاسلامية) لسيد سابق ص ١٣٦ و ١٣٧.

إبليس والشياطين

إنهم الكفرة من عالم الجن.. فما وصفهم..؟

يقول تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا» (١٢) «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا.. قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ» (١٣) «قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ، أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ.. قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.. قَالَ فَاهْرَجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ.. وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.. قَالَ رَبِّ فَاظْنُرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ.. قَالَ: فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ.. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ.. قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أَغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ.. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» (١٤) «وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.. وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ مَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ» (١٥) «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» (١٦) «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ.. إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» (١٧) «إِنْ كِيدَ الشَّيْطَانُ كَانَ ضَعِيفًا» (١٨) «إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (١٩) «وَالشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ» (٢٠) «يَعِدُهُمْ وَيُوعِدُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا» (٢١) «وَالَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ» (٢٢) «وَاسْتَحِذُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَانْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ

(١٢) الآية ٥٠ سورة الكهف.

(١٣) الآيتان ٦١ و ٦٢ سورة الإسراء.

(١٤) الآيات ٧٥-٨٣ سورة ص.

(١٥) الآيتان ٢٠ و ٢١ سورة سبأ.

(١٦) الآية ٢١ سورة النور.

(١٧) الآيتان ٩٠ و ٩١ سورة المائدة.

(١٨) الآية ٧٦ من سورة النساء .

(١٩) الآية ١٦٩ سورة البقرة.

(٢٠) الآية ٢٦٨ سورة البقرة.

(٢١) الآية ١٢٠ سورة النساء .

(٢٢) الآية ٢٥ سورة محمد.

الشیطان هم الخاسرون» (٢٣) «ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لاتعبدوا الشیطان إنه لكم عدو مبين.. وأن اعبدوني هذا صراط مستقیم» (٢٤) .. فنفهم بشأن إبليس والشیاطین:

- أولاً- الإنسان كرم على إبليس.
- ثانياً- إبليس طريد الرب.
- ثالثاً- إنهم عصاة الأمر الإلهي.
- رابعاً- هم أعداء بني آدم.
- خامساً- مستكبرون على الجنس البشري.
- سادساً- لاسلطة لهم تجبر الإنسان على فعل شيء.
- سابعاً- ضعفاء أمام قوة الإنسان.
- ثامناً- غوايتهم تحمل بغير المؤمنين.
- تاسعاً- سيطرتهم على القافرين فقط فينسونهم ذكر الله.
- عاشراً- يأمرن بالسوء والفحشاء والمنكر.
- حادي عشر- يشجعون القول على الله بغير علم.
- ثاني عشر- الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس شیطاني.
- ثالث عشر- يوقعون العداوة والبغضاء بين الناس في الخمر والميسر ويصدونهم عن ذكر الله وأداء الصلاة.
- رابع عشر- يزينون الضلال وسوء العمل.
- خامس عشر- يخوفون المرء بشيخ الفقر.
- سادس عشر- يشغلون المهزوز بالأمانی الباطلة كطول العمر وعدم البعث ونفي الجزاء.
- سابع عشر- طاعتهم تعني اتخاذهم معبودين.
- ثامن عشر- إنهم ومن تبعهم خاسرون في الدارين (٢٥).

(٢٣) الآية ١٩ سورة المجادلة.

(٢٤) الآيتان ٦٠ و ٦١ سورة يس.

(٢٥) للتوسع ينظر كتابي (حقيقة الشیطان بالمنظور القرآني).

الحياة

حياة الأرض

نقرأ في القرآن: «وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.. وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون» (١) «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود.. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء» (٢).

والأرض مهيأة بشكل صالح للحياة.. جبال تحفظ توازن جرمها السابح في الفضاء وهي بألوان يدل أي منها على أن عطاء المعدني ونتاجه الزراعي ليس من نوع واحد ، والنبات يزخر بثمرات شتى يانعة بما يناسب احتياج الإنسان ولذته ، والقطع القاحلة جنب البساتين العامرة تلك جرداء وهذه فيها العنب والتمر والليمون والبصل وغيرها على اختلاف طعومها تسقى بماء واحد ينساب في الأنهار بأحسن توزيع على اليابسة أو يسقط مطراً ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك.. أحياء عديدة مختلفة التكوين والطعم والوظائف والدور تعيش على كوكب واحد وتسقى بسائل واحد هو ماء الحياة وتتلقى الحرارة والضوء من جرم واحد هو الشمس..!

إنه لا عجز عجيب بأضخم ما يكون لا ينصفه إلا علماء يرون تلك الآيات واضحة من خلال برهان ساطع مترابط الأجزاء متكامل..! من فعل هذا كله..؟ يقول تعالى: «قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض» (٣) .. «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً» (٤) .. عمل لا يقدر عليه أحد إلا إله الكون..! وبالحال من دقة عمل ذات اعجاز هائل..! يصفها تعالى بقوله: «إنا كل شيء خلقناه بقدر» (٥) .. أسأل الكيميائي أو الطبيب عن مسألة الخلق بنسب دقيقة المشاهد في حياة الأرض ليطلعك على العجائب «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون» (٦).

(١) الأيتان ٣ و ٤ سورة الرعد. (٤) الآية ٢٩ سورة البقرة.

(٢) الأيتان ٢٧ و ٢٨ سورة فاطر. (٥) الآية ٤٩ سورة القمر.

(٣) الآية ٩ سورة فصلت. (٦) الآية ٤٣ سورة النحل.

(لقد حسب العلماء احتمال اجتماع الذرات التي يتكون منها جزيء واحد من الأحماض الأمينية - وهي المادة الأولية التي تدخل في بناء البروتينات واللحوم- فوجدوا أن ذلك يحتاج الى بلايين عديدة من السنين والى مادة لايتسع لها هذا الكون المترامي الأطراف ، هذا لتكوين جزيء واحد على ضآلته فما بالك بأجسام الكائنات الحية جميعاً من نبات رحيان؟.. وما بالك بما لا يحصى من المركبات المعقدة الأخرى؟.. وما بالك بنشأة الحياة وملكوت السماوات والأرض؟.. انه يستحيل عقلاً أن يكون ذلك قد تم عن طريق المصادفة العمياء أو الخبيطة العشوائية... لابد لكل ذلك من خالق مبدع عليم خبير أحاط بكل شيء علماً وقدر كل شيء ثم هدى) (٧).

هكذا هو الترابط الوثيق بين تفاصيل حياة الأرض وكلام الله القرآني... ألا تدل حياة الأرض على الغيب الإلهي يقيناً بأوضح الإشارات؟
حياة الخلائق

ومخلوقات عديدة فوق الأرض لاسيما الحيران والزرع... إن ما يلوح في هذه الخلائق من اقتدار وإبداع ودقة لا يمكن اغفاله إلا حين تتبدل الحواس ، خلق معجز وجمالي أخاذ ونظام مذهل مظاهر بارزة إن لم تستلفت نظر الإنسان فما الذي يستلفته؟

من أوجد ذلك من العدم؟.. ومن أودع فيه خصائص عظمى بكل وعي وقصد وإجادة؟ بقرة تأكل عشباً فيتحول الى قوت لخلاياها والى لبن لرضيعها والى غذاء للإنسان وما تبقى هو فضلات تفرز عن طريق آخر... البقرة مثل واحد فقط ، ودعونا نستعرض مسائلتين : لو أن ماكينة بصنعها كل بني الإنسان الأوائل فهم والأواخر وكانوا بعقل واحد أيقدر أن يخلق بقرة تعطي ذلك العطاء الفريد وهذه كلفة من أموال طائلة وجهود مضنية وتدابير هائلة؟

ولو قدروا - وهو فرض مستحيل - كيف يوفرن الغذاء المناسب لها؟
 ولو قدروا - وهو مستحيل آخر - كيف يتيسر لهم تحقيق التفاعل بين المواد بعناصرها المختلفة وجعلها تعطي اللبن وتوفر غذاء الخلايا وتفرز الفضلات خارجاً؟
 ولو قدروا - وهو مستحيل رابع - كيف يكون لبنها جد مناسب لمستهلك من غير جنسها هو الإنسان؟

(الله يتجلى في عصر العلم) ص ٤.

وما قلناه بشأن البقرة تمثيلاً عن عالم الحيوان نقول نظيره عن النخل تمثيلاً
عن عالم النبات ، ثم نتساءل : من فعل هذا كله...؟

لا أحد يجيب بقناعة فيها الصواب والحكم المؤكد إلا الله تعالى وهو ينادينا
من وراء الغيب مرشداً بكلام مخفوف بالرحمة والجلال والحق إذ يقول في القرآن
الكريم : «وما ذراً لكم في الأرض مختلفاً ألوانه» (٨) «وإث فيها من كل دابة وأنزلنا
من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم» (٩).

إله يهيمن على كون هو خالقه ينسب ذلك الفعل المقصود لنفسه... إنه لحق
اليقين... هكذا أجزم بحواسي وبكل عقلي تحت ضوء القرائن الساطعة كالشمس في
رائعة النهار...١٠

تفاصيل تلمسها في حياة الخلاق تشير بقوة الى صدق الغيب الإلهي الوارد
في القرآن وتجعلنا نتلقفه مستيقنين لأمر أشبه بالأرض اليابسة ينزل عليها القطر
فتدب فيها الحياة وتزهو...١١

حياة الإنسان

إنها طراز عجيب هي أيضاً...١٢

جسم الإنسان فيه اقتدار خلق وابداع تكوين وعظمة تدبير ، كل خلية من
خلاياه وعددها مليار مليون في المعدل التقريبي تهز العقول إعجاباً بنظام توزيع
الغذاء على كل واحدة منها وسبل إيصاله اليها وأداء كل مجموعة لوظائف معينة
بكل انسجام وانضباط وروعة...١٣

ومن حول الإنسان لمجد كل ما في الأرض قد هيئ ليكون صالحاً لحياة هذا
المخلوق لسنين لانعلم مقدارها ، بل حتى العديد من أجرام السماء البعيدة قد هيئ
لاستواء حياة الخلاق وفي مقدمتها الإنسان ، فشمس تشرق علينا نصف يوم
فيكون نهاراً وتحتجب النصف الآخر فيكون ليل ، وقمر يهز وسط الظلام فيتخلص
به نور وزينة وعلم بالمواقيت والشهور ووظائف المد والجزر البحرية الداخلة في حفظ
توازن الأرض...١٤

المراء الحسن الثقافة بالعلم والخبرات لا يجد في حياة الإنسان أي مخلوق بلا
أهمية وقصد حتى القشة على قارعة الطريق...١٥ بل يجد دلائل الحكمة والتقدير

(٨) الآية ١٣ سورة النحل. (٩) الآية ١٠ سورة لقمان.

بادية تتكاثر أمام الحس كلما ازداد نصيبه من العلم والخبرات وجودة الالتقاط والاستنتاج...١٠

فيتساءل : من فعل هذا كله...؟

ويسمع اجوبة من الناس فيها هراء كثير إذ يكون كل منها وفق مزاج المجيب وهواه المتخبط فيضرب بها عرض الجناط بحثاً بجهد عما يقنع العقل ويربح القلب فيأتيه ذلك النداء الرحيم محاطاً بالجلال حاملاً الحق المفتقد مدوياً من وراء ستار الغيب وهو يقول : «اللّه خالق كل شيء» (١٠) «الذي أحسن كل شيء خلقه» (١١) «أفمن يخلق كمن لا يخلق» (١٢).

ولو لم يجد الإنسان العالم الخبير نداء من وراء الغيب مجلجلاً بهذه الحقائق لما كان مؤدى سعيه إلا إليها غير أن الخالق الرحيم شاء أن يمنحه مزيد هدى مراعاة لقليلي العلم والخبرة فكان الخير كله قد اجتمع وتمت الحجة على الإنسان...١٠
لو ألقى علينا رجل أُمي كتاباً حمله إلينا من عالم ذائع الصيت يقيم في نصف الكرة الغربي فوجدنا محتوى الكتاب حسناً عالي القيمة يحاور عقولنا ويخاطب اعماقنا وينال منا كل الاحترام.. أيصح أن ندعي أن ذلك العالم مؤلف الكتاب غير موجود لكون عيوننا لاتراه...١٠
«ولله المثل الأعلى» (١٣) .. فمن أراد اليقين فعلاً كفاه الغيب الالهي...١٠

الغاية من حياتنا

يقول تعالى: «إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً» (١٤) .. مادام هو خالق الأرض والإنسان والحياة فهو المتحكم إذن بالغاية المريد لها «لنبلوهم أيهم أحسن عملاً» .. وهل أن حياتنا مهيأة لهذا الامتحان...؟
نعم.. قال تعالى : «اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من اللّه ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» (١٥).

فالأرض والحياة كما نفهم من النص القرآني قد اعدا لغاية هي اختبار الإنسان المصمم كما نرى متناسباً مع المطلب الرباني.. ونتيجة هذا الاختبار لاتباع

(١٠) الآية ١٦ سورة الرعد (١٢) الآية ١٧ سورة النحل (١٤) الآية ٧ سورة الكهف.

(١١) الآية ٧ سورة السجدة (١٣) الآية ٦٠ سورة النحل (١٥) الآية ٢٠ سورة الحديد

ضراً بالمخالق ولا تنيله نفعاً فهو الغني الحميد ، وإنما هي لصالح المخلوق إن أحسن نال بها الشرف والفضل ونعم الجزاء عند الله تعالى وإن أساء ذاق مرارة ما فرط ولا يظلم ربك أحداً.

وتسبباً لتحقيق تلك الغاية العظمى فطر الله تعالى البشر على معرفته «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون» (١٦) وبعث الرسل والأنبياء بعقيدة التوحيد الإلهي يبشرون الناس وينذرونهم «ولكل قوم هاد» (١٧) «إنا كنا مرسلين.. رحمة من ربك» (١٨) «وكم أرسلنا من نبي في الأولين» (١٩) «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم» (٢٠) «ورسلنا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» (٢١).

الموت

دار زائلة

الحياة الدنيا دار زوال هكذا خلقت وهذه طبيعتها وهي سائرة نحو لحظة الاضمحلال.. نعم لحظة ينتهي فيها كل شيء. وليس هو باضمحلال تدريجي لأن هذا قد يعرقل حياة الناس ويؤثر على عملية اختبارهم «وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب» (١).

بل إننا نفهم من التمثيل القرآني لانتهاى الحياة الدنيا أن هذا الأمر يحل بها وهي بالغة أوج الزخرف والزينة والاقتدار وليس أوج الضعف.. أنظر ما يقوله خالقها:

«إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهائراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون» (٢).

قانون الوفاة الأرضي هو إياه كما ينفذ في الناس من حيث المفاجأة وجهل مواعده وهول الوقع يسري كذلك على الدنيا محتضن البشرية ودار بلائها.. الإنسان يجهل موعد الموت حتى لا يبرز تحت ثقل الذعر ، ويأتيه الموت مفاجأة برهاناً على

(١٦) الآية ٨٧ سورة الزخرف (١٩) الآية ٦ سورة الزخرف (١) الآية ٧٧ سورة النحل

(١٧) الآية ٧ سورة الرعد (٢٠) الآية ٤ سورة إبراهيم (٢) الآية ٢٤ سورة يونس

(١٨) الأيتان ٥ و ٦ سورة الدخان (٢١) الآية ١٦٥ سورة النساء

أن عيش الدنيا خادع المتغافلين «وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»^(٣) ، أما هول الوقع فهو شبح مخيف يذكر العاقل دائماً بأنه مقبل على ختام عملية الاختبار ومنتقل من دار فانية ألفتها حواسه طويلاً الى دار مقيمة لاتزول حيث السعادة أو الشقاء.

«وعد الله ، لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون.. يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون»^(٤) .. وعد من الله لا يخلف «إن وعد الله حق»^(٥) .. ومادام الأمر مستيقن هكذا فلم يتناسى أكثر الناس أهميته...! لأنهم يفتقرون الى العلم المحيط بحقيقة الدنيا المذكر بفضل الآخرة لا العلم السطحي الناقص الذي لا يتجاوز بمنظاره ظاهر حياتهم ذات البريق الكاذب...!

لكل مخلوق أجل

إنه قانون مائل يملأ الحس لم يتخلف منذ أول إنسان وطئ الأرض والى قيام الساعة... قانون لم يستثن آدمياً «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون»^(٦)...! ولم يستثن أي نفس من الأحياء في دنيانا «كل نفس ذائقة الموت»^(٧) وأما الأرض بكل ما تحتويه لها موعد أيضاً هو القيامة حيث تنتزع منها روح الحياة فيتوقف تفاعل الأشياء وتغدو حطاماً...! «وإذا الكواكب انتثرت»^(٨) «وإذا الأرض مدت.. وألقت ما فيها وتخلت»^(٩).

كثيرون قبلنا قد مضوا في هذا الطريق «فهل ترى لهم من باقية»^(١٠)...! إن بقي منهم شيء فهو آثارهم الدالة على سنة الخالق سبحانه في دنيانا «ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض»^(١١)...!

بداية الخلود

الحياة الدنيا دار موقته لها موعد تنتهي عنده حيث يبدأ عالم البقاء «ذلك يوم الخلود»^(١٢).. يوم يمتد الى الأبد دائم لا ينتهي فليس هو أياماً ولا أسابيع ولا شهوراً ولا سنوات إنه الخلود بلا نهاية.

وأهل الدنيا في ذلك اليوم ليسوا في حال واحدة وإنما هم فريقان أولهما

(٣) الآية ٢٠ سورة الحديد . (٧) الآية ٣٥ سورة الانبياء . (١١) الآية ٦ سورة الانعام.

(٤) الأيتان ٦ و ٧ سورة الروم (٨) الآية ٢ سورة الانفطار . (١٢) الآية ٣٤ سورة ق.

(٥) الآية ٣٣ سورة لقمان . (٩) الأيتان ٣ و ٤ سورة الانشقاق .

(٦) الآية ٣٤ سورة الانبياء . (١٠) الآية ٨ سورة الحاقة.

الفائزون في عملية الاختبار « أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون »^(١٣) وثانيهما
اللاهون أثناء عملية الاختبار « أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »^(١٤).
اليوم الآخر

أحد شروط الإيمان

الإيمان باليوم الآخر ركن أساس في عقيدة التوحيد الإلهي.. يقول تعالى
: «إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر
وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»^(١) «ولكن البر
من آمن بالله واليوم الآخر»^(٢).

وعندما سئل : ما الإيمان..؟ أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم (أن تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)^(٣).

أهميته

ونستطيع أن نتصور بسهولة عدم جدوى الإيمان إطلاقاً دون الاعتقاد باليوم
الآخر ، إنه أكثر شبيهاً برأس الإنسان ، أترأه يساوي شيئاً بدونه..؟
الإنسان يعمل في دنياه وفق منهج الخالق أو بخلاقه ، فما الذي يتبع هذه
الدار الزائلة بالانتقال الى الآخرة..؟ أن ينال المرء ما وعد الخالق عباده وهو النعيم
للمحسن والعذاب للمسيء...!

أفق إلهي رصين تملؤه المعاني العليا كالعدل والحكمة..! حياة دنيا تنتهي
بعقبها عالم خالد لاتساوي دار الزوال الى جانبه أدنى ذرة في الخلود حيث يجازى
فيه المرء على حصيلة ما كسب..! «بل تؤثرون الحياة الدنيا.. والآخرة خير
وأبقى.. إن هذا لفي الصحف الأولى.. صحف إبراهيم وموسى»^(٤)..

هكذا تكتمل ملامح الصورة في القرآن الكريم في الروعة الكمال يتلأأ بين
جواهره (اليوم الآخر) بوهج كالبدر لا يعرف قدره أحد مثل من عانى وحشة الظلمات
ويؤسها..!

البعث

يموت المرء في دنياه ويتحلل جسده بعد الدفن ، فكيف يبعث بعودة الروح

(١٣) الآية ٨٢ سورة البقرة. (٢) الآية ١٧٧ سورة البقرة.

(١٤) الآية ٣٩ سورة البقرة. (٣) بعض حديث رواه مسلم.

(١) الآية ٦٢ سورة البقرة. (٤) الآيات ١٦-١٩ سورة الاعلى.

الى الجسد...؟ يقول تعالى :«وكانوا يقولون إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون.. أو آباءنا الأولون.. قل إن الأولين والآخرين.. لمجموعون الى ميقات يوم معلوم»^(٥).

كيف...؟ يقول تعالى :«ويقول الإنسان إذا مامت لسوف أخرج حياً..؟ أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً»^(٦) «وضوب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم..؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم»^(٧) «نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين.. على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون.. ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون»^(٨).

هل ثمة تفاصيل أخرى...؟ نعم .. وإن المرء عند اطلاعه عليها بعلم وخبرة وامعان ليكاد يرى حقيقة البعث وامكانه كما يرى أصابع يده.. أنظر :«يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.. ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير.. وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور»^(٩) «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون.. ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين.. إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون»^(١٠) «بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير»^(١١).

الحشر

رب خلق الناس واستخلفهم في الأرض ثم أماتهم وبعد ذلك بعثهم أليس بقادر على أن يحشر الجميع في موقف واحد لا يفلت منه أحد...؟
يقول تعالى :«وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً»^(١٢) «ذلك حشر علينا

- | | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| (٥) الآيات ٤٧-٥٠ سورة الواقعة | (٩) الآيات ٥-٧ سورة الحج. |
| (٦) الأيتان ٦٦ و ٦٧ سورة مريم. | (١٠) الآيات ٣٨-٤٠ سورة النحل. |
| (٧) الأيتان ٧٨ و ٧٩ سورة يس. | (١١) الآية ٧ سورة التغابن. |
| (٨) الآيات ٦٠-٦٢ سورة الواقعة. | (١٢) الآية ٤٧ سورة الكهف. |

يسير» (١٣) «ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم» (١٤).

وفي الحديث النبوي (يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف : صنف مشاة وصنف ركبان وصنف على وجوههم) .. قيل : يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : (إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم : ألا إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك) (١٥).

الحكم بين العباد

إنه تحقيق للوعد الالهي : «يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا اعمالهم» (١٦) «يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا» (١٧) «يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق» (١٨).

وباله من عدل عندما يكون الله تعالى هو الحاكم : «وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً.. إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً» (١٩).

وفي الحديث النبوي (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة) (٢٠).

سئل الامام علي رضي الله عنه : كيف يحاسب الله الناس كلهم في وقت واحد..؟ فقال : كما يرزقهم في آن واحد يسألهم في آن واحد.. (٢١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه) (٢٢) فيقول : أعملت كذا وكذا..؟ فيقول : نعم ، ويقول : أعملت كذا وكذا..؟ فيقول : نعم.. فيقرره ، ثم يقول : إني سترت عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، ثم يعطى صحيفة حسناته ، وأما الكفار

(١٣) الآية ٤٤ سورة ق.

(١٤) الآية ٤٥ سورة يونس.

(١٥) رواه الترمذي.

(١٦) الآية ٦ سورة الزلزلة .

(١٧) الآية ٦ سورة المجادلة.

(١٨) الآية ٢٥ سورة النور.

(١٩) الأيتان ١٣ و ١٤ سورة الإسراء.

(٢٠) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٢١) ينظر (أدب الدنيا والدين) ص ٢٦.

(٢٢) أي ستره.

فينادى على رؤوس الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (٢٣).

يقول تعالى : «فأما من أوتي كتابه بيمينه.. فسوف يحاسب حساباً يسيراً.. وينقلب الى أهله مسروراً.. وأما من أوتي كتابه وراء ظهره.. فسوف يدعو ثبوراً.. ويصلى سعيراً.. إنه كان في أهله مسروراً.. إنه ظن أن لن يحور.. بلى إن ربه كان به بصيراً» (٢٤).

احصاء كل شيء

يقول تعالى : «وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ربنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً» (٢٥).

كيف...؟ «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون» (٢٦) «وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء.. وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون.. وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون.. وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين» (٢٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم «يومئذ تحدث أخبارها» (٢٨) فقال : (أتدرون ما أخبارها...) قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : (فإن أخبارها أن تشهد (٢٩) على كل عبد أو أمه بما عمل على ظهرها أن تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا) قال : (فهذه أخبارها) (٣٠).

كل امرئ بما كسب رهين

مستلم الأمانة هو الذي يتحمل تبعاتها.

وكم من أمانة استودعنا الخالق إياها..؟

إن ما يكسبه الانسان في الدنيا يتحمل وحده نتائج الحساب عنه أمام الله الرقيب الحسيب ، وإنه لهو العدل والاتصاف.. يقول تعالى : «كل نفس بما كسبت

(٢٣) رواه البخاري ومسلم. (٢٧) الآيات ٢١-٢٣ سورة فصلت.

(٢٤) الآيات ٧-١٥ سورة الانشقاق. (٢٨) الآية ٤ سورة الزلزلة.

(٢٥) الآية ٤٩ سورة الكهف. (٢٩) أي الأرض.

(٢٦) الآية ٢٤ سورة النور. (٣٠) رواه احمد والبخاري والترمذي.

رهينة» (٣١) «كل امرئ بما كسب رهين» (٣٢) .. ارتهان... حتى...؟ يوم الحسرة الكبرى «إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين» (٣٣).

لا والد ينفع ولا ولد

ما أغلى الولد على والده... وما أشفق الوالد على ولده...! هذا في الدنيا فقط ، يتهاديان الأموال والعقارات وشتى العوارض الغالية الثمن ، أما في الآخرة حيث الدار خالدة والممتلكات - وهي الحسنات - تتعلق بالمصير الأبدى فليس هناك استعداد لدى انسان للتضحية بأدنى حسنة لأجل الغير أو تحمل أدنى سيئة عن الغير تكراً عليه ولو كان هذا الغير ولداً...!

يقول تعالى : «ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى» (٣٤) «يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور» (٣٥).

فما الذي ينفع ؟..

«يوم لا ينفع مال ولا بنون... إلا من أتى الله بقلب سليم» (٣٦).

يبيض الوجه وسودها

يقول تعالى : «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه» (٣٧) .. ما أحسن بياض الوجوه اعلناً عن فوز اصحابها بنتيجة الاختبار الديني... وما أدل التعبير بسوادها عن سوء العاقبة...!

وجوه يتلقى أصحابها البشارة فيشعرون بالامتلاء كرامة وعزاً لأنهم نالوا رضى الملك الحق الحكم العدل تبارك شأنه فإذا بلون النور يبيض من أبرز وأكرم موضع في كيان الأدمي ألا وهو الرأس وتحديد الوجه...!

ووجوه يتلقى أصحابها نتيجة سعيهم خسراناً فيحسون بفداحة السقوط ورعب المصير وهول العذاب لأنهم باؤوا بسخط القوي العزيز إله العالمين جل شأنه فإذا بلون الظلمة يغطي وجوه هؤلاء الذين لم يكونوا يعبؤون بهذا المتقلب المتوقع

المحذور...!

(٣١) الآية ٣٨ سورة المدثر. (٣٤) الآية ١٨ سورة فاطر. (٣٧) الآية ١٠٦ سورة آل عمران.

(٣٢) الآية ٢١ سورة الطور. (٣٥) الآية ٣٣ سورة لقمان.

(٣٣) الآية ١٨ سورة غافر. (٣٦) الآيتان ٨٨ و ٨٩ سورة الشعراء.

«فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتهم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون.. وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون.. تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين» (٣٨).

الجنة

دار الجزاء الأبدى

يقول تعالى: «خالدين فيها ابداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه» (١) «خالدين فيها نعم أجر العاملين» (٢) «خالدين فيها وعد الله حقاً» (٣).

الجنة دار يكافئ الخالق عز وجل فيها عباده الذين اتبعوا الطريقة المثلى مستمسكين بمنهجه القويم في الدنيا وقد استرخصوا الغالي والنفيس قيماً بذلك الأمر ومحاشياً لكل ما يخالفه.

إن الخلد صفة يظهر فيها الجزاء بأضخم معاني الكمال وأتمها ، فما قيمة نعيم عاقبته الزوال..؟! متاع الدنيا قليل لكونه عارضاً ينتظره الفناء..! وباله من استغراق في الفعل عندما يستمر أبداً..!

جزاء لا يقدر عليه إلا الخالق عز وجل ، وهو يليق بصفات كماله لاسيما في العطاء والإنعام ، وهو يليق بعباد الله تعالى الأخيار لالشيء إلا لقوله تعالى: «رضي الله عنهم» «نعم أجر العاملين» «وعد الله حقاً»..!

أوصاف المرشحين لها

يقول تعالى: «فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين» (٤) «وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات» (٥) «إن المتقين في جنات ونعيم» (٦) «إلا عباد الله المخلصين.. أولئك لهم رزق معلوم.. فواكه وهم مكرمون.. في جنات النعيم» (٧) «والذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين.. ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون» (٨) «قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات» (٩) «وأمن يعلم ألما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى؟ إنما يتذكر

(٣٨) الآيات ١٠٦-١٠٨ سورة آل عمران. (٧) الآيات ٤٠-٤٣ سورة الصافات

(١) الآية ٨ سورة البينة. (٤) الآية ٨٥ سورة المائدة (٨) الآيتان ٦٩ و ٧٠ سورة الزخرف

(٢) الآية ٥٨ سورة العنكبوت (٥) الآية ٢٣ سورة ابراهيم (٩) الآية ١١٩ سورة المائدة.

(٣) الآية ٩ سورة لقمان. (٦) الآية ١٧ سورة الطور

أولو الألباب.. الذين يوفون بعهد الله ولا ينتقضون الميثاق.. والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب.. والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرعون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار.. جنات عدن يدخلونها^(١٠) «هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ.. من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب.. ادخلوها بسلام»^(١١) «لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون.. اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم»^(١٢).

الله تعالى حدد أوصاف المرشحين للجنة بأنهم :

- أولاً- آمنوا بآيات الله وأسلموا له.
- ثانياً- يعلمون بقول جيدة أن ما أنزل الى محمد - صلى الله عليه وسلم - من ربه هو الحق ونزولاً عند مقتضى علمهم يؤمنون بهذا الحق.
- ثالثاً- قرنوا الايمان بالعمل المتسم بالصلاح.
- رابعاً- محسنون.. يعبدون الله كأنهم يرونه وهم يستشعرون رقابته دائماً^(١٣).

- خامساً- مخلصون.. أفردوا ربهم بالطاعة.
- سادساً- متقون.. يطيعون الله خوفاً من غضبه.
- سابعاً- يخشون ربهم بالغيب إذ لم يشاهدوه عياناً.
- ثامناً- يخافون سوء الحساب قبل حلوله.
- تاسعاً- أبرار.. فاعلون لكل خير.
- عاشراً- ملتزمون بالمنهج الالهي بلا انحراف ولا التواء.
- حادي عشر- صابرون على ما يواجهونه نيلاً لرضى الله.
- ثاني عشر- يقيمون الصلاة وينفقون في سبيل الله بلا ادعاء ويدرون السيئة بالحسنة ، صفات هي من الشواهد البارزة على الالتزام

(١٠) الآيات ١٩-٢٣ سورة الرعد.

(١١) الآيات ٣٢-٣٤ سورة ق.

(١٢) الأيتان ٨٨ و ٨٩ سورة التوبة .

(١٣) عندما سئل النبي : ما الاحسان..؟ قال صلى الله عليه وسلم : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) بعض حديث رواه مسلم.

والصبر عليه.

ثالث عشر- رجاعون الى الله تعالى بالتوبة والاستغفار.

رابع عشر- مجاهدون بالمال والنفس.

خامس عشر- موقنون بعهود الايمان ومواريقه.

الفوز العظيم

يقول تعالى: «فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز»^(١٤) «ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم»^(١٥) «لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى»^(١٦). امرؤ يؤمن بالله في الدنيا ويعمل صالحاً إنه للفوز وربى.. ثم ينقلب الى الآخرة فتغفر له الذنوب ويزحزح عن النار إنه للفوز أيضاً.. ١. ويدخل من بعد الجنة لا يذوق فيها الموت أبداً وله نعيم خالد إنه للفوز المين.. ١.

حقائق تفاصيلها وراء الحسيان

يقول تعالى: «مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات»^(١٧) «وفاكهة كثيرة.. لا مقطوعة ولا ممنوعة»^(١٨) «أكلها دائم وظلها»^(١٩) «وحور عين.. كامثال اللؤلؤ المكنون»^(٢٠) «وفيها ما تشتهيبه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون»^(٢١) «لا يصدعون عنها ولا ينزفون»^(٢٢) «لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً»^(٢٣) «لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً»^(٢٤) «لا يمسن فيها نصب ولا يمسن فيها لغوب»^(٢٥) «ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً»^(٢٦) «إن هذا لرزقنا ماله من نفاد»^(٢٧) «ورضوان من الله أكبر»^(٢٨) «أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً»^(٢٩).

(١٤) الآية ١٨٥ سورة آل عمران.	(٢٢) الآية ١٩ سورة الواقعة.
(١٥) الآية ٩ سورة التغابن.	(٢٣) الآية ٢٥ سورة الواقعة.
(١٦) الآية ٥٦ سورة الدخان.	(٢٤) الآية ١٣ سورة الانسان.
(١٧) الآية ١٥ سورة محمد.	(٢٥) الآية ٣٥ سورة فاطر.
(١٨) الآيتان ٣٢ و ٣٣ سورة الواقعة.	(٢٦) الآية ٤٧ سورة الحجر.
(١٩) الآية ٣٥ سورة الرعد.	(٢٧) الآية ٥٤ سورة ص.
(٢٠) الآيتان ٢٢ و ٢٣ سورة الواقعة.	(٢٨) الآية ٧٢ سورة التوبة.
(٢١) الآية ٧١ سورة الزخرف.	(٢٩) الآية ٢٤ سورة الفرقان.

وفي الحديث القدسي يقول ربنا : (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. اقرأوا إن شئتم «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين» (٣٠) .. (٣١)).

والرسول البشير عليه أفضل الصلاة والسلام يقول : (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : «تريدون شيئاً أزيدكم.. فيقولون : ألم تبيض وجوهنا... ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار... قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر الى ربهم.. ثم تلا «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» (٣٢) .. (٣٣)).

كرم إلهي

وفي مجازاة العباد على ما قدموا في دنياهم بجنة أخبرنا الله تعالى ببعض ملامحها اليقينية من وراء الغيب يظهر لنا كرم إلهي عظيم ، فما يقدمه المرء في دنياه - وهو بفضل من الخالق عز وجل وتمكينه - ماذا يساوي إزاء ذلك العطاء الأخروي الهائل فوق التصور: ١٠:

إنه يكاد يشبه وزن ذرة قياساً الى السماوات والأرض... الإله الأحد يجازي عباده على قدر مقامه هو.. فما يعطيه فقير ثمناً للخباز على رغيف يكاد لا يساوي شيئاً يذكر قياساً الى ما يناله الخباز من رجل واسع الثراء كريم... ١٠ «ولله المثل الأعلى» (٣٤).

عطاء هائل يوازي قدر الإله تبارك وتعالى ولكنه بالقسط... ١٠ فليس من الصواب أن يزعم وغد مثلاً أنه سينال درجة المؤمن الماجد ، أو أن يتوهم جاهل أنه سيوهب مرتبة العالم التقى ، أو أن يتصور مجرم أنه سيعطى مقام صديق شهيد... ١٠ يقول تعالى : «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم؟ ساء ما يحكمون» (٣٥) «أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار» (٣٦) «أم للإتسان ما تنهى» (٣٧).

وعد حق

يقول تعالى : «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة

(٣٠) الآية ١٧ سورة السجدة (٣٣) رواه مسلم. (٣٦) الآية ٢٨ سورة ص.

(٣١) رواه البخاري. (٣٤) الآية ٦٠ سورة النحل. (٣٧) الآية ٢٤ سورة النجم.

(٣٢) الآية ٢٦ سورة يونس. (٣٥) الآية ٢١ سورة الجاثية.

يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» (٣٨).

أولاً- أنفس العباد وأموالهم هي ملك لربهم أصلاً.

ثانياً- الله يشتري منهم طريقاً ، ينصرف بهما فقط.

ثالثاً- الجنة هي الثمن.

رابعاً- الوعد حق.

خامساً- تعهد تضمنه أقدس كتب الله وأشهرها.

سادساً- لا أحد أوفى بعهده من الله.

سابعاً- اعطاء البشارة للبائع في عقد كهذا.

ثامناً- إنه الفوز العظيم.

ولقد اعطى الله تعالى ضمانات كبرى :

أولاً- الثمن مهما بلغ قدره ممكن السداد «إن الله يفعل ما يريد» (٣٩).

ثانياً- أجل السداد ثابت «لا يخلف الله الميعاد» (٤٠).

ثالثاً- الله يحفظ الوعد من جهته تماماً «وعد الله حقاً» (٤١) «إنه كان وعده مائتاً» (٤٢).

وإذا أراد انسان التحقق من واقعية الضمانات يجد:

أولاً- إن قدرة الخالق عز وجل بلا حدود.. فكل ما نراه على الأرض وفي

تفاصيل حياتنا لا يمكن إيجاده بدون إله هو الله تعالى قدرته لا

يعيقها مستحيل ، يقول للشيء كن فيكون هو كائن مثلما أراد

بالضبط.

ثانياً- نظام الموعد الدقيق المنجز ماثل في حياتنا.. فالشمس- مثلاً - والقمر

والليل والنهار والرياح والمطر والزرع بشمارها ونمو الأجسام والموت

والحياة وكثير لا يحصى من خلق الله هي براهين ساطعة في هذا

المجال.

ثالثاً- الله تعالى خلق الكون وتحديداً السماوات والأرض بالحق وهو قائم

(٣٨) الآية ١١١ سورة التوبة (٤٠) الآية ٢٠ سورة الزمر. (٤٢) الآية ٦١ سورة مريم.

(٣٩) الآية ١٤ سورة الحج. (٤١) الآية ٩ سورة لقمان.

على حفظ نفاذ هذا الحق فلم ولن يسمح لذرة من باطل أن تنفذ الى
القوانين الكونية ، ولو حصل هذا لتناغم التدهور والخراب وانهار كل
الابداع المعجز العظيم.. وتتسائل قميلاً : هل أخطأت الشمس ساعة
فقط في مقدار الضوء والحرارة المناسب للأرض...؟

النار

دار العذاب

إله خلق الإنسان وأخذ منه عهداً وهو في ظهر أبيه الأول بأنه وجد لحمل أمانة
كبرى ، ولم يقتصر التكليف على هذا التبليغ المستقر في الفطرة وإنما بعث الله
تعالى الأنبياء والمرسلين وأنزل الكتب تذكيراً للإنسان وهدى وجعل الخلق من حوله
يملاً الخواص والعقل والقلب بالجلال الالهي.. فإذا لم يبال المرء وسار في طريق آخر
يخالف ما وجد له عاصياً ربه بصلف وغرور وعبث ألا يعاقب..؟ وهذا مقتضى
العدل..

أين يعاقبه..؟ يقول تعالى : «إن جهنم كانت مرصاداً»^(١) «نار الله
الموقدة»^(٢) «هذه النار التي كنتم بها تكذبون»^(٣).
ضخامة العقاب

ربما يتسائل البعض :

لماذا العقاب الإلهي ضخماً قياساً الى الذنوب..؟

الدواعي عديدة ، منها الظاهرة :

أولاً- علو مقام الإله.

ثانياً- إعطاء العبد كل لوازم حمل الأمانة.

ثالثاً- كثرة معالم الهدى ووضوح سبيله.

رابعاً- اتساع الفرص وتواليها طوال العمر.

خامساً- تشديد الردع.

الجرائم المرشحة للجهنم

يقول تعالى: «إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً»^(٤) «إن الذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها.. لهم من جهنم مهاد»^(٥) «وأما الذين فسقوا فمأواهم

(١) الآية ٢١ سورة النبا (٣) الآية ١٤ سورة الطور (٥) الآية ٤٠ و ٤١ سورة الاعراف.

(٢) الآية ٦ سورة الهمزة (٤) الآية ٥٦ سورة النساء

النار» (٦) «وخاب كل جبار عنيد.. من ورثه جهنم» (٧) «إلا من اتبعك من
 الفارين.. وإن جهنم لموعدهم» (٨) «إن هلا ما كنتم به تفترون» (٩) «وأن للطاغين
 لشر مآب.. جهنم يصلونها» (١٠) «وإن الظالمين في عذاب مقيم» (١١) «وإن كثيراً من
 الأحرار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين
 يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم» (١٢)
 «وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه» (١٣) «إتكم وما تبدون من دون الله
 حسب جهنم» (١٤) «واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً» (١٥) «وقالوا لو كنا نسمع أو
 نعقل ما كنا في أصحاب السعير» (١٦) «ويل لكل همزة لمزة» (١٧) «لئن الذين
 يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً» (١٨) «لئن
 الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ، أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي
 أنصاً يوم القيامة» (١٩).

نفهم أن الجرائم المرشحة لعذاب جهنم هي:

أولاً- عدم التمسك بالمنهج الإلهي.

ثانياً- التكذيب بروحي الله والاستكبار عليه.

ثالثاً- التمرد على أحكام الله من أمر ونهي.

رابعاً- التجبر والعناد إزاء الإيمان والهدى .

خامساً- الضلال باتباع الشيطان.

سادساً- التشكك بما جاء من عند الله.

سابعاً- الطفيلان بمنأوة الحق.

ثامناً- ايقاع الظلم بالنفس والآخرين والمنهج الإلهي.

تاسعاً- أكل الحرام والصد عن الهدى.

عاشراً- الاسراف وعدم الإيمان.

(٦) الآية ٢٠ سورة السجدة.	(١٣) الآية ١٢٧ سورة طه.
(٧) الأيتان ١٥ و ١٦ سورة ابراهيم.	(١٤) الآية ٩٨ سورة الأنبياء.
(٨) الأيتان ٤٢ و ٤٣ سورة الحجر.	(١٥) الآية ١١ سورة الفرقان.
(٩) الآية ٥٠ سورة الدخان.	(١٦) الآية ١٠ سورة الملك.
(١٠) الأيتان ٥٥ و ٥٦ سورة ص.	(١٧) الآية ١ سورة الهزلة.
(١١) الآية ٤٥ سورة الشورى.	(١٨) الآية ١٠ سورة النساء .
(١٢) الآية ٣٤ سورة التوبة.	(١٩) الآية ٤٠ سورة فصلت.

حادي عشر - عبادة غير الله.

ثاني عشر - التكذيب بالآخرة .

ثالث عشر - عدم الاستفادة من الخواص والعقل في التماس الحق الالهي واتباعه.

رابع عشر - الطعن بالناس والاستخفاف بهم.

خامس عشر - سرقة مال اليتيم.

سادس عشر - الميل عن الحق والاستقامة.

هقاب مرور

يقول تعالى : «سراويلهم من قطران وتغشى وجوههم النار» (٢٠) «يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر» (٢١) «إنها لظى.. نزاعة للشوى» (٢٢) «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب» (٢٣) «لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش» (٢٤) «ويسقى من ماء صديد.. يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ» (٢٥) «قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم.. يصهر به ما في بطونهم والجلود.. ولهم مقامع من حديد.. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعبدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق» (٢٦) «وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون» (٢٧) «أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم.. إنا جعلناها فتنة للظالمين.. إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم.. طلعها كأنه رؤوس الشياطين.. فإنهم لاكلون منها فمالئون منها البطون.. ثم إن لهم عليها لشواً من حميم» (٢٨) «إن شجرة الزقوم.. طعام الأثيم.. كالملح يغطي في البطون.. كغلي الحميم.. خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم.. ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم.. ذق إنك أنت العزيز الكريم» (٢٩) «هذا فليذوقوه حميم وغساق.. وآخر من شكله أزواج» (٣٠) «لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل» (٣١) «وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون

(٢٠) الآيات ١٩-٢٢ سورة الحج.

(٢١) الآية ٢٠ سورة السجدة.

(٢٢) الآيات ٦٢-٦٧ سورة الصافات.

(٢٣) الآيات ٤٣-٤٩ سورة الدخان.

(٣٠) الآيات ٥٧ و ٥٨ سورة ص.

(٣١) الآية ١٦ سورة الزمر.

(٢٠) الآية ٥٠ سورة ابراهيم.

(٢١) الآية ٤٨ سورة القمر.

(٢٢) الآيتان ١٥ و ١٦ سورة المعارج.

(٢٣) الآية ٥٦ سورة النساء .

(٢٤) الآية ٤١ سورة الاعراف.

(٢٥) الآيتان ١٦ و ١٧ سورة ابراهيم.

من طرف خفي» (٣٢) «وسقوا ماء حميماً فقطع امعاظهم» (٣٣) «في سموم وحميم.. وظل من يحموم» (٣٤) «فلذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً» (٣٥) «وما أدراك ما سقر.. لا تبقي ولا تذر.. لواحة للبشر.. عليها تسعة عشر.. وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة» (٣٦) «ليس لهم طعام إلا من ضريع.. لا يسمن ولا يفتني من جوع» (٣٧) «يوم يحسّى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فلذوقوا ما كنتم تكذبون» (٣٨) «إذا رأيتم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً.. وإذا ألقيوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً» (٣٩) «لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها» (٤٠) «ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لاقتلوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبذالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون» (٤١) «إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون.. في الحميم ثم في النار يسجرون» (٤٢) «ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» (٤٣) «ويش المسهاد» (٤٤) «تكاد تميز من الغيظ» (٤٥) «كلا لينبلذ في الحطمة.. وما أدراك ما الحطمة.. نار الله الموقدة.. التي تطلع على الأفئدة.. إنها عليهم مؤصدة.. في عمد ممددة» (٤٦) «وما لكم من ناصرين» (٤٧).

عذاب دائم

يقول تعالى: «ألا إن الظالمين في عذاب مقيم» (٤٨) «لا يثنى فيها أحقاباً» (٤٩) «ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد» (٥٠) «والنار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله» (٥١) «وللعذاب الآخرة أشد وأبقى» (٥٢) «فيبس

- | | |
|------------------------------------|------------------------------|
| (٣٢) الآية ٤٥ سورة الشورى. | (٤٣) الآية ٦ سورة التحريم. |
| (٣٣) الآية ١٥ سورة محمد. | (٤٤) الآية ١٢ سورة آل عمران. |
| (٣٤) الآيتان ٤٢ و ٤٣ سورة الواقعة. | (٤٥) الآية ٨ سورة الملك. |
| (٣٥) الآية ٣٠ سورة النبأ. | (٤٦) الآيات ٤-٩ سورة الهزلة. |
| (٣٦) الآيات ٢٧-٣١ سورة المدثر. | (٤٧) الآية ٢٥ سورة العنكبوت. |
| (٣٧) الآيتان ٦ و ٧ سورة الغاشية. | (٤٨) الآية ٤٥ سورة الشورى. |
| (٣٨) الآية ٣٥ سورة التوبة. | (٤٩) الآية ٢٣ سورة النبأ. |
| (٣٩) الآيتان ١٢ و ١٣ سورة الفرقان. | (٥٠) الآية ٢٨ سورة فصلت. |
| (٤٠) الآية ٣٦ سورة فاطر. | (٥١) الآية ١٢٨ سورة الانعام. |
| (٤١) الآية ٤٧ سورة الزمر. | (٥٢) الآية ١٢٧ سورة طه. |
| (٤٢) الآيتان ٧١ و ٧٢ سورة غافر. | |

القرار» (٥٣).

حق الوعيد

يقول تعالى: «وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون» (٥٤)
«وقالوا مالنا لانرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار.. اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم
الابصار.. إن ذلك لحق تخاصم أهل النار» (٥٥) «ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على
الله وجوههم مسودة ، أليس في جهنم مثوى للمتكبرين.. وسيق الذين كفروا الى
جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم
يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة
العذاب على الكافرين.. قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى
المتكبرين» (٥٦) «وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل،
أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من
نصير» (٥٧) «هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون» (٥٨).

حقائق بلا تفاصيل

(عرش الرحمان) و (كرسيه) و (السماوات) و (خلقه ما لاتعلم) حقائق
نؤمن بوجودها رغم أننا لم نجد في القرآن الكريم سوى إشارات اليها خالية من
تفاصيل مستفيضة تحدد ملامح كنهها.. ويبدو أن الخالق عز وجل يعلمنا من
حقائق الغيب القدر الذي نستطيعه ونحتاج اليه في حياتنا فهو «الحكيم
الخبير» (١).

عرش الرحمان

ذكر عرش الرحمان في القرآن واحداً وعشرين مرة مجملاً من مثل قوله
تعالى: «ورفع الدرجات ذو العرش» (٢) «رب العرش العظيم» (٣) «ذو العرش
المجيد» (٤) «فسبحان الله رب العرش» (٥) «الرحمن على العرش استوى» (٦) «وكان
عرشه على الماء» (٧).

- (٥٣) الآية ٦٠ سورة ص- (٥٨) الآية ٤٣ سورة الرحمان.. للتوسع ينظر كتابي (ماذا بعد الموت؟)
(٥٤) الآية ٢٠ سورة السجدة. (١) الآية ١٨ سورة الانعام (٥) الآية ٢٢ سورة الانبياء
(٥٥) الآيات ٦٢-٦٤ سورة ص- (٢) الآية ١٥ سورة غافر. (٦) الآية ٥ سورة طه.
(٥٦) الآيات ٦٠ و ٧١ و ٧٢ سورة الزمر (٣) الآية ١٢٩ سورة التوبة. (٧) الآية ٧ سورة هود
(٥٧) الآية ٣٧ سورة فاطر. (٤) الآية ١٥ سورة البروج.

كرسيه

ذكر كرسي الإله في القرآن مرة فقط في قوله تعالى:

«وسع كرسيه السموات والأرض» (٨).

وفي الحديث النبوي (ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس) و (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض) (٩).
السموات

جاء ذكر السموات في القرآن مرات عديدة مثل قوله تعالى :

«خلق الله سبع سموات طباقاً» (١٠) «رفع السموات بغير عمد ترونها» (١١)
«وأوحى في كل سماء أمرها» (١٢).

خلقه ما لا نعلم

يقول تعالى : «ويخلق ما لا تعلمون» (١٣) .. فنفهم:

أولاً- الكون المعقول ليس هو كل الوجود.

ثانياً- لا يصح انكار ما تجهل وجوده.

ثالثاً- اقتدار الله تعالى لا يقتصر على ما علمناه.

وحي خاص

الوحي لبشر صالحين

أولاً- يقول تعالى : «إذ أوحينا إلى أمك مایوحى.. أن اقذفه في التابوت

فاقذفه في الیم فلیلقه الیم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقیت عليك

محبة مني ولتصنع على عيني» (١).

ألهم الله أم موسى عليه السلام أن تضع وليدها في صندوق وتلقيه في نهر

النیل ففعلت ، وقد حمله تيار الماء الى الساحل أمام قصر فرعون الحاكم

الباحث بكل الجند عن أبناء الاسرائيليين حديثي الولادة ليذبحهم ، ويتأثير

(٨) الآية ٢٥٥ سورة البقرة. (١٣) الآية ٨ سورة النحل.

(٩) أوردهما الامام محمد بن عبدالوهاب في كتابه (التوحيد) ص ٢٢٦.

(١٠) الآية ١٥ سورة نوح. (١١) الآية ٢ سورة الرعد. (١٢) الأيتان ٣٨ و ٣٩ سورة طه

(١٣) الآية ١٢ سورة فصلت ينظر كتابي (اسماء الله وعلاقتها بمخلوقاتة) موضوع : ملك السموات والأرض.

المحبة التي ألقاها الله على هذا الطفل إذا بفرعون يتخلى عن قراره الصارم نزولاً عند التماس زوجته باستثناء هذا الولد من الذبح ، بل وأكثر من هذا التكفل بتربيته...١

ثانياً- يقول تعالى :«وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين» (٢).

نقلت رسل من الملائكة الى أم عيسى عليه السلام بشارات الاصطفاء لحدث مفرد في تاريخ البشرية ألا وهو ولادة المسيح من غير أب بتلقي مريم نفخة الروح مباشرة كما حصل لأدم عليه السلام في أول الخليفة...١
اصطفاء لم تتبين السيدة مريم شأنه إلا عند الولادة ، ما كان عند تلقيه من الملائكة المرسلين إلا مجرد بشارة بلا تفاصيل اقترنت ببشارة أخرى محضيراً للحدث العظيم هي الشهادة من رب العزة والجلال بأنها طاهرة ليكون هذا التحصين سباجاً تنكسر عنده أمواج الشبهات العاتية فيما بعد ، أما الاصطفاء الآخر أي ثالثة البشارات فكان بتفضيلها على نساء العالمين اطلاقاً...١ (٣).

ثالثاً- يقول تعالى :«وإذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون» (٤).

ألهم الله الحواريين أن يؤمنوا به وبرسوله فما أن جاءتهم البينات وتلقوا التبليغ من عيسى عليه السلام اعلنوا الإيمان وأشهدوه بأنهم أسلموا أنفسهم كاملة لخالقها سبحانه.

الوحي للملائكة

يقول تعالى :«إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان» (٥).

أمر الله عز وجل ملائكته بأن يتوجهوا الى بدر بمعبته للاشتراك في المعركة الى جانب المؤمنين القلة تثبيتاً لهم إزاء المشركين الكثرة واعداء بالقاء الرعب في قلوب الاعداء ومقررأ أن يتصرف الملائكة على النحو المحقق لانتصار المؤمنين

(٢) الآية ٤٢ سورة آل عمران.

(٤) الآية ١١١ سورة المائدة.

(٣) سيأتي لاحقاً استعراض أوسع لشأن السيدة مريم.

(٥) الآية ١٢ سورة الانفال.

بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما قد تم أنجازه فعلاً على أروع ما يكون...!

الوحي للمخلوقات أخرى

أولاً- يقول تعالى :«وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون.. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون» (٦).

ألهم الله النحل التصرف بمقتضى ما فطرت عليه بأن تتخذ بيوتها في الجبال والشجر والسقائف المرفوعة مذلاً سبل الحياة أمامها.. وقد نتساءل : لماذا الإلهام للنحل مع التنويه...؟ لأنه «يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس» شفاء مطلق للناس عموماً... ليتفكر أصحاب العقول في أمر حشرة بقدر رأس الاصبع تدر ذلك الشراب المعجز ، حشرة لا تضاهيها مصانع الدواء البشري كلها على ضخامة ما فيها في العصر الحديث من علوم وجهود وخبرات وأموال هي عطاء رباني أيضاً رغم ما يتوهمه البعض بأنها محض ملكة لكونها من كسبه...!

ثانياً- يقول تعالى :«وأوحى في كل سماء أمرها» (٧).

جعلها سبحانه تعمل بقوانين تنظم شؤونها حسب إرادته.

ثالثاً- يقول تعالى :«إذا زلزلت الأرض زلزالها.. وأخرجت الأرض أثقالها.. وقال الإنسان مالها.. يومئذ تحدث أخبارها.. بأن ربك أوحى لها» (٨).

يأمر الله الأرض بأن تتزلزل قياماً للساعة ، فيالزلال يخرج فيه هذا الجرم كل أثقاله التي طال حملها ويلقي بالكتل متناثرة في الفضاء الى غير رجعة ، لأن الحادث ليس عارضاً كالزلازل البسيطة التي تشبه جروحاً تلتئم وإنما هو خاتمة المطاف تنتهي عندها فصول الحياة الدنيا مؤذنة بحلول العالم الأبدى.

(٦) الايتان ٦٨ و ٦٩ سورة النحل.

(٧) الآية ١٢ سورة فصلت.

(٨) الآيات ١-٥ سورة الزلزلة.

غيب مكشوف قصة الإنسان الأول

إيجاد آدم

يقول تعالى : «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون» (١) «إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين» (٢) «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون» (٣) «خلق الإنسان من صلصال كالفخار» (٤) «فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين» (٥) «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون.. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين» (٦).. فنفهم:

أولاً- مشيئة الخالق بإيجاد خليفة في الأرض.

ثانياً- المخلوق الجديد ذو إرادة تحتل الهدى والضلال.

ثالثاً- الإنسان الأول خلق من مادة الطين.

رابعاً- خلق الله آدم بيده ولهذا الأمر دلالة عظيمة.

خامساً- نفخ فيه من روحه ، وبألها من نسبة..!

سادساً- أسجد ملائكته لآدم تكريماً لجنسه.

العيش في الجنة

يقول تعالى : «فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى» (٧) «وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقريا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين» (٨) «إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى.. وأنت لا تظمأ فيها ولا

(١) الآية ٣٠ سورة البقرة. (٢) الآية ٧١ سورة ص.

(٣) الآية ٢٦ سورة الحجر .. الحمأ طين أسود متغير الرائحة لطول مجاورته الماء.

(٤) الآية ١٤ سورة الرحمن .. الصلصال هو الطين اليابس الذي يظهر صوته عندما ينقر عليه.

(٥) الآية ٢٩ سورة الحجر. (٦) الآية ١١٧ سورة طه.

(٧) الآية ٣١-٣٤ سورة البقرة. (٨) الآية ٣٥ سورة البقرة.

تضحى» (٩) .. فنفهم :

أولاً- عاش آدم وزوجه أول الأمر في الجنة.

ثانياً- حذرهما سبحانه من عدو يعرفانه هو إبليس.

ثالثاً- نهاهما عن شجرة.

رابعاً- التكليف كان على أضيق نطاقه.

خامساً- لا معاناة تذكر في هذا العيش.

الخطيئة

يقول تعالى :«فوسوس لهما الشيطان ليبيدي لهما ما وري عنهما من سوأتهم» وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين.. وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين.. فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوأتهم وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين.. قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» (١٠) .. فنفهم :

أولاً- إنهما قد وقعا في إغواء الشيطان.

ثانياً- عصيا الله تعالى.

ثالثاً- فقدوا بعض النعم الجليلة.

رابعاً- استغفروا الله وطلبوا الرحمة إشفافاً من الخسار.

الهبوط على الأرض

يقول تعالى :«فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم» (١١) وقال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين.. قال فيها تحبون وفيها تموتون ومنها تخرجون» (١٢) .«فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى» (١٣) «يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة» (١٤) .. فنفهم :

أولاً- قبل الله تعالى توبة آدم وزوجه.

ثانياً- أهبطهما الأرض للخلافة فيها.

ثالثاً- الأرض دار بلاء وامتحان على نطاق واسع.

(٩) الآيات ١١٨ و ١١٩ سورة طه. (١٢) الآيات ٢٤ و ٢٥ سورة الاعراف.

(١٠) الآيات ٢٠-٢٣ سورة الاعراف. (١٣) الآية ١٢٣ سورة طه.

(١١) الآية ٣٧ سورة البقرة. (١٤) الآية ٢٧ سورة الاعراف.

رابعاً- أعلمهما بأن العداوة ستنشأ بين ذريتهما وأن الأرض ستكون دار إقامة
يعمرونها ويتمتعون فيها الى حين انتهاء آجالهم.
خامساً- من اهتدى بالمنهج الالهي استقام وفاز ومن أبى فله الضلال
والخسران.
سادساً- تحذير ذرية آدم من فتنة الشيطان ولهم في اخراج أبويهم من الجنة
لأكبر العبرة وأوضحها (١٥).

الكتب المنزلة

بيان التكليف وسبله

يقول تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»^(١) «وإذ قال ربك
للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة»^(٢).. الإنسان مكلف بالعبادة والاستخلاص..
ماشكل العبادة وأحكامها؟ وما منهج الاستخلاص ومعاله؟
بيان ذلك لمحجده في الكتب التي جاء بها المرسلون وحياء من عند الله تعالى
كالتوراة والإنجيل والقرآن.. فالقرآن يقول عنه المنزل الحكيم: «هذا بيان للناس»^(٣)
«وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم»^(٤) «يريد الله ليبين لكم ويهديكم
سنن الذين من قبلكم»^(٥).
ويقول سبحانه بشأن الإنجيل: «وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه»^(٦)..
وعن التوراة يقول تعالى: «وعندهم التوراة فيها حكم الله»^(٧) وفيما يعني اليهود
والنصارى معاً يقول تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه
للناس»^(٨).

وبخصوص كتب التكليف والتشريع السابقة إجمالاً يقول تعالى: «لقد
أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط»^(٩).

حق إلهي محفوظ

ماذا في القرآن؟

- (١٥) للتوسع ينظر كتابي (القرآن يفك لغز الأرض) وكتابي (كيف عاش آدم).
(١) الآية ٥٦ سورة الفاريات. (٤) الآية ٤٤ سورة النحل. (٧) الآية ٤٣ سورة المائدة.
(٢) الآية ٣٠ سورة البقرة. (٥) الآية ٢٦ سورة النساء. (٨) الآية ١٨٧ سورة آل عمران.
(٣) الآية ١٣٨ سورة آل عمران (٦) الآية ٤٧ سورة المائدة. (٩) الآية ٢٥ سورة الحديد.

« هذا بيان للناس وهدى ومبعدة للمتقين » (١٠) « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » (١١) « نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا » (١٢) « ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل » (١٣) « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (١٤) « قد جاءكم بصائر من ربكم » (١٥) « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » (١٦) .

هذا سمي القرآن ودأبه منذ حوالي خمسة عشر قرناً وسيبقى هكذا طوال فترة التكليف الأرضي.. قرأه الانسان في مبتدأ التنزيل فاهتدى وقرأه الانسان قبيل قيام الساعة فيجد فيه الفعل والتأثير ذاتهما..

وآخر منصوص

ماذا في التوراة والانجيل..؟

يقول تعالى : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور » (١٧) « وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور » (١٨) « ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » (١٩) .

ما فعل بهما اليهود والنصارى اذن..؟

يقول تعالى : « أفنطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » (٢٠) « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » (٢١) « ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون.. يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير » (٢٢) .

هم مدعوون الى الاسلام اذن..؟

-
- (١٠) الآية ١٣٨ سورة آل عمران (١٥) الآية ١٠٤ سورة الانعام (٢٠) الآية ٧٥ سورة البقرة.
(١١) الآية ١ سورة ابراهيم.
(١٢) الآية ٩ سورة الاسراء. (٢١) الآية ٤٦ سورة النساء.
(١٣) الآية ١٠٢ سورة النحل.
(١٤) الآية ٨٩ سورة الإسراء.
(١٥) الآية ٤٦ سورة المائدة.
(١٦) الآية ١٧ سورة النحل.
(١٧) الآية ١٧ سورة المائدة.
(١٨) الآية ١٧ سورة المائدة.
(١٩) الآية ٦٦ سورة المائدة.
(٢٠) الآية ١٧ سورة المائدة.
(٢١) الآية ١٧ سورة المائدة.
(٢٢) الآية ١٧ سورة المائدة.

يقول تعالى : «قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» (٢٣) «إن الدين عند الله الاسلام» (٢٤) «ومن يبغ غير الاسلام ديناً فله فخر يقبل منه» (٢٥).

وهنا نتساءل : لم القرآن يحفظ من التحريف ولا يحفظ التوراة والانجيل وكلها كتب من عند الله تعالى ؟..

إن ربنا أراد للتوراة والانجيل النسخ بكتابه المجيد القرآن المتعهد بحفظه طوال فترة التكليف ليكون منهج البشرية الالهى الأرواح القويم الى آخر أيام الأرض..!

فيكون متبع القرآن قد أحسن الاختيار ، ويكون الراض له أخذاً بتعاليم منسوخة لم يتعهد الله تعالى بحفظها بعد نزول القرآن ، فامتدت اليها أبدي التحريف المتاجرة بالدين ومن ثم صارت نسبتها الى الله تنطوي على زور كبير..! إنه لتحريف صارخ ذلك الذي يملأ ماسمي التوراة والانجيل بحجده بعد مجيء الاسلام يحفز العاقل الى البحث عن الحق المبين في سواها.

التحريف يزعم مثلاً أن ابراهيم - خليل الرحمان - (كذاب) وأن لوطاً - عليه السلام - (زنا بابتنيه) وهارون - عليه السلام - (دعا الاسرائيليين الى عبادة العجل) وداود - عليه السلام - (زنا بزوجة أوريا) وسليمان - عليه السلام - (عبد الأصنام ارضاء لزوجته)..!!

أهذا فعل أنبياء..؟! أين عصمتهم إذن..؟! الى هذا الدرك ينحدر المحرفون وهم يفترون الكذب على أقدس مآلديهم وما يشعرون..! وبإمعان النظر في ذلك نجد أن أهل الكتاب يقومون بدور هائل في طمس ديانتهم من حيث لا يشعرون ذلك بتحريفهما وبالتالي اتباع أباطيل اخترعها الأخبار والرهبان على طول العصور..!

تحريفهم هو نسخ للديانتين بطريقة أخرى تمثلت بسوء فعلهم في رفض الحق الخاتم المختار - الاسلام - وتحريف الحق المنتهي دوره - مثلاً بالتوراة والانجيل - ومن ثم التمسك بتعاليم تولى البشر تلفيق الكثير من مفرداتها منذ تاريخ بعيد ونحتها (٢٣) الآية ٦٤ سورة آل عمران (٢٤) الآية ١٩ سورة آل عمران (٢٥) الآية ٨٥ سورة آل عمران.

بمرور الزمن...١

إنه درس كبير ليتهم يستوعبونه...١

الله تعالى نسخ الديانتين وأمر أتباعهما باتباع الاسلام فرفض أكثرهم...١
لماذا...؟ إنهم يريدون البقاء على الديانتين متاجرة وجهلاً وأنفة...١ فما حصل...؟
تسلطوا بضلالهم على النصوص الربانية في التوراة والانجيل فحرفوها وفق
ما يشتهون طوال القرون الماضية...١

فما بقي منها...؟ لم يبق شيء يعتد به...١

نسخ للتوراة والانجيل قررته السماء ، وطمس لما احتواه من الحق المنسوخ
مارسه الضالون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا...١ نسخ الله تعالى الديانتين
فسحاً للطريق أمام أكمل الأديان وخالقها ليقوم بدوره الأكبر في حياة الناس جميعاً
، وحين أبى الضالون ذلك تركهم سبحانه يحققون النسخ واقعياً بطريقتهم الخاصة
بتحريفهم الحق وطمسه...١ وهكذا لم نعد نخشى مزاحمة للاسلام ، فبالضدين أخذ
الحق الالهي يتميز...١

ليلة القدر

إنها ليلة بدء نزول القرآن الكريم على خاتم الرسل والأنبياء صلى الله عليه
وسلم... يقول تعالى : «إنا أنزلناه في ليلة القدر.. وما أدراك ما ليلة القدر.. ليلة
القدر خير من ألف شهر.. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر.. سلام
هي حتى مطلع الفجر» (٢٦) «إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين.. فيها
يفرق كل أمر حكيم.. أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين.. رحمة من ربك إنه هو
السميع العليم» (٢٧).

ليلة في رمضان : «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان» (٢٨).

وفي الحديث النبوي: (تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان) (٢٩)..
وورد في تعيينها آثار كثيرة ، بعضها يحدد الليلة السابعة والعشرين من شهر
الصيام الكريم.

لماذا الحث على تحريها...؟ يقول صلى الله عليه وسلم : (من قام ليلة القدر

(٢٦) سورة القدر. (٢٨) الآية ١٨٥ سورة البقرة.

(٢٧) الآيات ٣-٦ سورة الدخان. (٢٩) رويها في الصحيحين .

إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه^(٣٠).. وعلى أية حال فإن من قام العشر الأواخر يكون قد أدرك ليلة القدر وحظي بما قدر الله تعالى للقائمين إيماناً واحتساباً من غفران ورحمة وأجر عظيم.

ليلة تستحق كل الاحتفاء بها من الناس لاسيما المؤمنين.. أولم ينزل الله تعالى فيها القرآن الكريم الذي هو أصل الخير العظيم الذي يحوزه المؤمنون في الدنيا والآخرة..؟

الرسل والأنبياء

صفوة الخلق

الرسل والأنبياء نماذج بشرية يتسم تكوينها الشخصي بالطراز الرفيع والمستوى المرموق.. فالقدوة كلما تحلت بخصال عالية كلما أمكن التأسي بها على نحو حسن سريعاً وقوة وعلى أوسع نطاق ، ولذا فإن اصطفاء خيرة الخلق لمهام النبوة في التبليغ عن الله تعالى لأمر يدل على حكم عظيمة لا يخفى مغزاها.. ١.

يقول تعالى : «الله أعلم حيث يجعل رسالته»^(١) «نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم»^(٢) «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين»^(٣) «وأولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين»^(٤) «وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني»^(٥) «واصطنعتك لنفسي»^(٦) «فإنك بأعيننا»^(٧) «وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك»^(٨).

صفات مشعركة

ما أجد وأسمى صفات الرسل والأنبياء.. ١.

وما أبلغ وأجمل وصفها في القرآن.. ١.

يقول تعالى : «وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم»^(٩) «إنهم لياكلون الطعام ويمشون في الأسواق»^(١٠) «وجعلنا لهم أزواجاً وذرية»^(١١) «وما

- | | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| (٣٠) روياه في الصحيحين. | (٦) الآية ٤١ سورة طه. |
| (١) الآية ١٢٤ سورة الانعام. | (٧) الآية ٤٨ سورة الطور. |
| (٢) الآية ٨٣ سورة الانعام. | (٨) الآية ٦ سورة يوسف. |
| (٣) الآية ٣٣ سورة آل عمران. | (٩) الآية ٧ سورة الانبياء. |
| (٤) الآية ٥٨ سورة مريم. | (١٠) الآية ٢٠ سورة الفرقان. |
| (٥) الآية ٣٩ سورة طه. | (١١) الآية ٢٨ سورة الرعد. |

أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه» (١٢) «من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون» (١٣) «ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين.. وأعلم من الله ما لا تعلمون» (١٤) «ليس بي سفاهة» (١٥) «وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله» (١٦) «وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى الي وما أنا إلا نذير مبين» (١٧) «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا شئنا ألقى الشيطان في أمنيته فينسوخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته» (١٨) «وما أرسلناك عليهم وكيلًا» (١٩) «فمن ينصرني من الله إن عصيته» (٢٠).

مهام أساسية

يقول تعالى: «وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين» (٢١) «إني أمرت أن أكون أول من أسلم.. وإني بريء مما تشركون» (٢٢) «ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين» (٢٣) «إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم» (٢٤) «وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله» (٢٥) «أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين» (٢٦) «قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وورقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب» (٢٧).

يقول الشيخ الدهلوي: (فالأنبياء كان أول دعوتهم وأكبر هدفهم في كل زمان وفي كل بيئة تصحيح العقيدة في الله تعالى وتصحيح الصلة بين العبد وربه والدعوة الى اخلاص الدين لله وحده وافراد العبادة لله وحده وأنه النافع الضار المستحق للعبادة والدعاء والالتجاء والنسك وحده... وكانت حملتهم مركزة موجهة الى الوثنية القائمة في عصورهم المثلثة بصورة واضحة في عبادة الأوثان والأصنام والصالحين والمقدسين من الأحياء والأموات) (٢٨).

-
- (١٢) الآية ٤ سورة ابراهيم.. (١٨) الآية ٥٢ سورة الحج. (٢٣) الآية ٧٩ سورة آل عمران.
(١٣) الآية ٢١ سورة يس. (١٩) الآية ٥٤ سورة الاسراء. (٢٤) الآية ١٣٥ سورة الشعراء.
(١٤) الأيتان ٦١ و ٦٢ سورة الاعراف. (٢٥) الآية ٧٨ سورة غافر.
(١٥) الآية ٦٧ سورة الاعراف. (٢٠) الآية ٦٣ سورة هود. (٢٦) الآية ٦٨ سورة الاعراف.
(١٦) الآية ٦٤ سورة النساء. (٢١) الآية ٤٨ سورة الانعام. (٢٧) الآية ٨٨ سورة هود.
(١٧) الآية ٩ سورة الاحقاف. (٢٢) الأيتان ١٤ و ١٩ سورة الانعام (٢٨) كتابه (حجة الله البالغة).

مزايها خاصة

أولاً- يقول تعالى : «ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض»^(٢٩).. ومن مظاهر هذا التفضيل أن جمع الله تعالى لبعضهم فضل الرسالة مع شرف النبوة ، إذ أن الرسل كلهم أنبياء وليس كل الأنبياء رسلاً ، فالنبوة إذا اقتصرت على صاحبها سمي نبياً وإذا اقترنت بتكليف يتولى تقويم سلوك جماعة من الناس سمي هذا التكليف رسالة وصار مبلغها يدعى رسولا^(٣٠).

ثانياً- يقول تعالى : «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات»^(٣١).. يقول صاحب الظلال : (والتفضيل هنا يتعلق بالمعبط المقدر للرسول والذي تشمله دعوته ونشاطه كأن يكون رسول قبيلة أو رسول أمة أو رسول جيل أو رسول أمم كافة في جميع الأجيال.. كذلك يتعلق بالمزايا التي يوهبها لشخصه أو لأئمة كما يتعلق بطبيعة الرسالة ذاتها ومدى شمولها لجوانب الحياة الإنسانية والكونية)^(٣٢).

ثالثاً- يقول تعالى : «فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل»^(٣٣).. وهم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم افضل الصلاة والسلام.. ولقد جاءتهم الصفة (أولو العزم) من كونهم عانوا الكثير من الشدائد والمعن والالام في تبليغ رسالاتهم.

رابعاً- يقول تعالى : «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»^(٣٤).. أرسل سيدنا محمد خاتم الرسل والأنبياء صلى الله عليه وسلم بالمنهج الالهي المكتمل الذي يحقق سعادة الدارين للناس جميعاً الى قيام الساعة.

الوحد الالهي

هو العقيدة التي اشترك جميع الرسل في تبليغها للناس كافة طوال العصور السالفة منذ أبينا آدم عليه السلام الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المرسل بتمامها طوال الشوط الممتد الى يوم القيامة.

كل منهم وضع لبنة في صرحها.. فنجد:

(٢٩) الآية ٥٥ سورة الاسراء. (٣٢) (في ظلال القرآن) المجلد ١ ص ٤١٢.

(٣٠) ينظر (مع الانبياء في القرآن الكريم) ص ١١ (٣٣) الآية ٣٥ سورة الاحقاف.

(٣١) الآية ٢٥٣ سورة البقرة. (٣٤) الآية ١٠٧ سورة الانبياء.

أولاً- محور العقيدة ظل واحداً يتمثل بعبادة الخالق وحده.
 ثانياً- لا تضارب في الأمر والنهي والارادة والهدف.
 ثالثاً- عمل منسق يربطه التدرج في التكليف.
 رابعاً- ملامح الغيب الإلهي بقيت واحدة في أقوال الجميع رغم تباعد الأزمنة واختلاف البيئات.

كيف...؟ يقول تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون» (٢٥) «اتبع ما أوحى اليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين» (٣٦) «ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» (٣٧) «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» (٢٨).

كلمات متشابهة ذات مدلول واحد آمن بها ويشر مبلغون لا يحصى عددهم إلا الله تعالى سمى لنا منهم في القرآن خمسة وعشرين رسولا هم : آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم واسماعيل ولوط واسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب وأيوب وذو الكفل وموسى وهارون وداود وسليمان والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً افضل الصلاة والسلام.

وقال تعالى: «ورسلاً لم نقصصهم عليك» (٣٩) «ولكل أمة رسول» (٤٠) و «لكل قوم هاد» (٤١).

التبليغ النبوي رحمة

أن يتولى إنسان تبليغ الناس بأمر ربهم يذكر الناسي ويعلم الجاهل ويرشد التائه ويقوم المنحرف ويسدد المخطئ وينصح العنيد ويضرب لهم مثلاً في نفسه إذ يؤمن بوعي ويلتزم بقوة وينفذ بأمانة ويدعو بعزم لهو رحمة جلى.

يقول تعالى: «إنا كنا مرسلين.. رحمة من ربك» (٤٢) «قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليعفركم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل

(٣٥) الآية ٢٥ سورة الانبياء.	(٣٩) الآية ١٦٤ سورة النساء.
(٣٦) الآية ١٠٦ سورة الانعام.	(٤٠) الآية ٤٧ سورة يونس.
(٣٧) الآية ٣٦ سورة النحل.	(٤١) الآية ٧ سورة الرعد.
(٣٨) الآية ١٣ سورة الشورى.	(٤٢) الآية ٥ و ٦ سورة الدخان.

مسمى... قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن تأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون.. وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتهمونا» (٤٣) «وما علينا إلا البلاغ المبين» (٤٤) «وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون» (٤٥) «ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» (٤٦).

آيات

حتى يسهل على الناس الايمان برسالة السماء اعطى الله تعالى آيات لرسله تقطع جزءاً بأنهم مبعوثون الى قومهم من عند الخالق عز وجل وليسوا هم مدعين.. ولقد حفل القرآن الكريم بذكر آيات عديدة كل منها كان تأييداً لرسول معين ، وهذه المعجزات مزيد رحمة ممن يقول للشيء كن فياذا هو كائن كما أراد.. وتثبيلاً يقول تعالى :

«إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر.. ونبتهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر» (٤٧) «قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم.. ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم» (٤٨) «قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين.. قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم» (٤٩) «وامراته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراءه اسحق يعقوب.. قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب.. قالوا أتعجبين من أمر الله» (٥٠) «فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم» (٥١) «وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين» (٥٢) «ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب

(٤٣) الآيات ١٠-١٢ سورة ابراهيم.

(٤٤) الآية ١٧ سورة يونس.

(٤٥) الآية ٤٤ سورة النحل.

(٤٦) الآية ١٢٥ سورة النحل.

(٤٧) الآيات ٢٧ و ٢٨ سورة القمر.

(٤٨) الآيات ١٥٥ و ١٥٦ سورة الشعراء.

(٤٩) الآيات ٦٨ و ٦٩ سورة الانبياء.

(٥٠) الآيات ١-٣ سورة هود.

(٥١) الآية ٦٣ سورة الشعراء.

(٥٢) الآية ٦٠ سورة البقرة.

السعير» (٥٣) «قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء» (٥٤) «والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين» (٥٥) «إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهينة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى وتبرى الأكمة والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى وإذ كففت بني اسرائيل عنك إذ جثتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين» (٥٦) «قل : لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (٥٧).

تراكم الهدى والعبر

لماذا تتابع الأنبياء والرسل .. ولماذا كثرة المعجزات .. ولماذا تزايد الهدى .. ؟ ولماذا وفرة العبر .. ؟ يقول تعالى : «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً» (٥٨) «وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم» (٥٩).

خاتم المبعوثين

نشأة المبعوث

تبليغ كبرى رسالات الله للناس جميعاً منذ حوالي خمسة عشر قرناً وإلى قيام الساعة ، أليس هو مهمة عظمى .. ؟ بلى وأيم الله ، لا يقدر على النهوض بأعبائها سوى إنسان هو أكمل الخلق بكل معنى الكلمة .. وهذا هو ما حصل فعلاً ، فأثار حياة محمد بن عبدالله - صلى الله عليه وسلم - تدل بوضوح على أنه من صفوة الخلق ، بل إنه إمام الصفوة .. !

إنسان طرازه الشخصي فريد ومهمته فى الوجود عظمى وأثره فى حياتنا الانسانية عميق لاشك أن حالته تجعلنا نتساءل : كيف نشأ .. ؟ الجواب : بلا رعاية أبوين .. إنه الابن الأوحى لرجل توفي قبل أن يرى ما تحمل امرأته فى أحشائها ،

(٥٣) الآية ١٢ سورة سبأ . (٥٦) الآية ١١٠ سورة المائدة . (٥٩) الآية ١١٥ سورة التوبة .

(٥٤) الآية ٤٠ سورة آل عمران . (٥٧) الآية ٨٨ سورة الاسراء .

(٥٥) الآية ٩١ سورة الانبياء . (٥٨) الآية ١٦٥ سورة النساء .

وأمة توفيت أيضاً بعد ولادته بأعوام ستة..١٠

كيف يدرج بلا حنو أبوين ليصبح أخيراً أكمل الخلق..؟

هذا أمر الله الذي ينفذ دون إعاقة من مستحيل..١٠

وهناك حكم جليلة وراء هذا التدبير الالهي منها :

أولاً- إنه صلى الله عليه وسلم ولد في مجتمع وثني للأبوين آثار كبيرة في توجيه سلوك ابنهما وتنشئته مشبعاً بقيم الشرك وعبادة الأصنام.. إنه كان سيتلقى حنان أبويه وحبهما مشاعر ممزوجة بقيم باطلة ، فأراد الله تعالى باليتم أن يخلصه من هذا التعكير التربوي لأنه يعد ريانياً لمهمة دحض الشرك بشتى أصنافه وفضح الباطل بمختلف أشكاله طوال فترة الوجود الأرضي بأكمل الأديان..!

ثانياً- لو عاش أبواه لحرصا على أن يتعلم ابنهما القراءة والكتابة فيما كان الله تعالى يريد أمة ليكون الإعجاز في رسالته أوضح وأتم وأبلغ..!

ثالثاً- ولو عاش أبواه لربما جعلاه ينشأ على أنماط سلوك تتعارض مع النمط الرباني الذي أراده الله تعالى لنبيه العظيم حتى في طفولته.. ومن هنا نجد في كتب السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في طفولته وحياته كلها يكره الأصنام ولا يحضر مجالس اللهو والغناء.

يقول صلى الله عليه وسلم : (ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية^(١) يعملونه غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبينه ، ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته، قلت ليلة لغلام يرعى معي بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسر بها كما يسمر الشباب ، فقال : أفعل.. فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفاً فقلت : ما هذا..؟ فقالوا : عرس فلان بفلانة ، فجلست أسمع ، فضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني إلا حر الشمس ، فعدت الى صاحبي فسألني فأخبرته ، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ودخلت مكة فأصابني مثل أول ليلة ، ثم ما هممت بعده بسوء^(٢)).

يقول تعالى لنبيه : «ألم يجدك يتيماً فأوى»^(٣).. أنظر ورايك الى حياة

(١) الجاهلية هي العصر السابق للإسلام ، وقد سماه القرآن بهذا الاسم لما كان يستحل فيه من الآثم والنجس والظلم.

(٣) الآية ٦ سورة الضحى.

(٢) (الكامل في التاريخ) لابن الاثير الجزء الثاني.

اليتيم وتذكر رعاية الخالق لك حتى غدت أكمل المخلوق..! ويوصيه تعالى : «فأما
اليتيم فلا تقهر»^(٤).. يامن عرفت اليتيم إياك أن تقهر يتيماً..!

وهل أن أكمل المخلوق الذي بصفه تعالى بقوله «وإنك لعلی خلق عظیم»^(٥)
قهر يتيماً..! لا ريب، إنه تعليم لأتباعه ، فإذا كان النبي يحذر في القرآن الخالد
من قهر اليتيم فغيره الذين لم يؤتوا ما أوتيته من علو الأخلاق أولى بالتحذير ،
ولذا فإنه صلى الله عليه وسلم كان يوصي كثيراً باليتيم حتى اعتبر مسح رأسه -
حنواً وشفقة - مذهباً لقسوة القلب..!^(٦).

أمية الرسول

لو كانت الأمية دليلاً أوجد على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
لكفت..! رجل يبلغ الأربعين وهو لا يقرأ ولا يكتب إطلاقاً وإنه أحد قوم أميين ،
فإذا به يعلن على غير توقع منهم أنه مبعوث برسالة السماء من عند خالق الكون لا
إله إلا هو ، وهي دعوة تناقض مجتمعه الوثني كلياً وتطعنه في الصميم..!

ويقرأ العارفون رسالته.. فإذا الكلام كله فوق إمكان البشر اعداده ويصلح
لمخاطبة كل فرد في العالم متوغلاً الى أغوار قلبه وسريماً ما يقنع ذوي العقل
والنباهة المنصفين بأنه كلام خالق الإنسان والحياة والكون يقوم بتبليغه رجل لم يكن
ذا سابقة في العلم مدلاً بأميته على أنه مجرد ناقل عن الله عز وجل..!

لو كان يقرأ ويكتب لقالوا إنه من تلفيقه..! يقول تعالى : «وكذلك أوحينا
إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان»^(٧) «وما كنت تتلو من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا رتاب المبطلون»^(٨) «وكذلك نصرف الآيات
وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون»^(٩) «قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا
أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون»^(١٠) «هو الذي بعث في
الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة»^(١١).

بلا مقدمات راح هذا الرجل الكريم يبلغ الرسالة.. فجأة اعلن الأمي أنه رسول

(٤) الآية ٩ سورة الضحى. (٨) الآية ٤٨ سورة العنكبوت. (١٠) الآية ١٦ سورة يونس.

(٥) الآية ٤ سورة القلم. (٩) الآية ١٠٥ سورة الانعام. (١١) الآية ٢ سورة الجمعة.

(٦) عن أبي هريرة : إن رجلاً شكاً الى رسول الله قسوة قلبه .. فقال له : (امسح رأس اليتيم
وأطعم المسكين) رواه احمد.

(٧) الآية ٥٢ سورة الشورى.

وراح يتلو على قومه آيات الله تعالى المطهرة للنفوس من الصفات الخبيثة لتفرس فيها أسمى الفضائل وراح يعلمهم القرآن وهو أجل الكتب وزناً وراح يعلمهم الحكمة أيضاً وأي حكمة من عليم حكيم..١٠

وأشهد على صدق نبوته أهل العلم والكتاب :«الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل»^(١٢).. عليك سيدي افضل الصلاة والسلام كما يليق بشأنك العظيم.

خلصنا الصدق والأمانة

اشتهار الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بخصلي الصدق والأمانة بشكل بارز ومرموق وما يغلب على شخصيته أكثر من مكارم الأخلاق الأخرى لهو تدبير من الله تعالى مقصود لوضوح دلالاته..١٠

فالإخبار عن الخالق يحتاج الى لسان صادق صدوق..١٠

والتبليغ عنه عز وجل يتطلب ذمة أمين مؤتمن..١٠

وشهرة النبي بالصفتين أمر له أكبر المغزى..١٠

عندما اعلن الرسول دعوته طعن سفهاء قريش بصدقه وأمانته من طرف خفي قائلين :«أننا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون»^(١٣).. فرد عليهم منزل القرآن سبحانه وتعالى بقوله :«بل جاء بالحق وصدق المرسلين»^(١٤).

ثمة حوادث يتذكرها القرشيون كلهم يرد صداها على تلك السفاهات.. عندما اختلف زعماء مكة فيمن يضع الحجر الأسود في موضعه لدى إعادة بناء الكعبة ارتضوا أن يحكموا بينهم أول من يدخل عليهم فكان محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - هو الحكم المنتظر فاطمأن الجميع له لما يعهدونه فيه من الأمانة وصدق الحديث وقالوا : هذا الأمين رضينا ، هذا محمد.. لأنهم كانوا في ذلك الوقت أي قبل بعثته يتحاكمون اليه إذ كان لا يداري ولا يماري^(١٥).

وقال لهم عقب البعثة : (أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي..؟ قالوا : نعم ما جرننا عليك كذباً.. قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)^(١٦).

(١٢) الآية ١٥٧ سورة الاعراف (١٣) الآية ٣٦ سورة الصافات (١٤) الآية ٣٧ سورة الصافات.

(١٥) ينظر (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) ص ١٤.

(١٦) المصدر نفسه ص ٣٦.

دعاء ابراهيم

وبشارتنا التوراة والانجيل

أولاً- يقول تعالى : «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم» (١٧) .. إنها دعوة ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان قواعد البيت الحرام في مكة.. قال أبو أمامة : (قلت : يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك..؟ قال : دعوة أبي ابراهيم) (١٨).

ثانياً- وفي التوراة جاء في سفر تثنية الاشتراع مانصه : (أتى الرب من طور سيناء وارتفع من صير وشع شعاعه من فاران وتقدم الى الأمام ومعه عشرة آلاف من الأبرار ومن يمينه خرج كتاب التقوى) .. ففاران هو اسم الحجاز القديم وهي البلاد التي ظهر فيها محمد رسول الله خاتم الأنبياء ، وأما (التقدم الى الأمام ومعه عشرة آلاف من الأبرار) فهو زحف المسلمين نحو أرض القبلية يوم فتح مكة بجيش يقوده الرسول قوامه عشرة آلاف من الصحابة.

ثالثاً- يقول تعالى : «وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» (١٩) .. وفي إنجيل يوحنا جاء في الاصحاح الرابع عشر ما نصه (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم الى الأبد : روح الحق) .. أي يكون خاتم الانبياء.

وفي الانجيل المذكور جاء في الاصحاح الرابع عشر أيضاً ما نصه : (أما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء) .. اي يبعث بأكمل الرسالات وهو ما يوضحه قوله تعالى : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» (٢٠) «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء» (٢١).

إن نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - لا تخفى على اليهود والنصارى ، يقول تعالى : «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» (٢٢) ..

(١٧) الآية ١٢٩ سورة البقرة. (٢٠) الآية ٣ سورة المائدة.

(١٨) رواه احمد. (٢١) الآية ٨٩ سورة النحل.

(١٩) الآية ٦ سورة الصف. (٢٢) الآية ٢٠ سورة الانعام.

ومعرفتهم هذه بالنبي الخاتم دون تصديق واتباع سيحاسبون عليها أشد الحساب يوم القيامة.

رسول للناس جميعاً

يقول تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ.. فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.. أَفَغَيِّرُ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَالْيَهُ يَرْجِعُونَ.. قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (٢٣) «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» (٢٤) «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.. فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.. صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ» (٢٥) «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً» (٢٦) «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (٢٧).

حتى قيام الساعة

يقول تعالى: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ» (٢٨) «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً» (٢٩) «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» (٣٠) «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (٣١).

بالإسلام اكتمل منهج التوحيد الالهي وغداً دين الله الأوحد للبشرية كلها

منذ بعثة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وإلى قيام الساعة.

(٢٣) الآيات ٨١-٨٤ سورة آل عمران. (٢٧) الآية ١٠٧ سورة الانبياء. (٣١) الآية ٨٥

(٢٤) الآية ٦٤ سورة آل عمران. (٢٨) الآية ٤٠ سورة الاحزاب. سورة آل عمران.

(٢٥) الآيات ١٣٦-١٣٨ سورة البقرة. (٢٩) الآية ٣ سورة المائدة.

(٢٦) الآية ٢٨ سورة سبأ. (٣٠) الآية ١٩ سورة آل عمران.

تصديق أولي الألباب

من أكثر الناس إيماناً بدين الرسول الأمي...؟

العلماء أولو الألباب...١

قال تعالى لنبيه الكريم أثناء تنزل القرآن : «ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد» (٣٢) «وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم» (٣٣) «إنما يخشى الله من عباده العلماء» (٣٤) «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون» (٣٥) «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» (٣٦) «أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب» (٣٧).

ما أعظم شهادتك يارب !.. الآن.. بعد مضي أكثر من أربعة عشر قرناً على هذه الآيات لمجد التاريخ الاسلامي كله شاخصاً بأسطع البراهين على أن العلماء كانوا من أخلص وأقوى وانفع جنود الإسلام ومن أشدهم تفاعلاً معه وأغزرهم حسن عطاء...!

شهادة اعطيت لرجل أمي عاش بين قوم أميين ، ظل الواقع البشري يعرضها وسيبقى كذلك مدى الحياة الدنيا .. إنها شهادة الخالق عز وجل المحيط بكل شيء وليست هي ادعاء من بشر يطلقه بلا ضمان !..

وإنها لبرهان مائل من تدبير الحكيم الخبير !..

«إنما يتذكر أولو الألباب»...! (٣٨).

معجزات متحققة

القرآن اعجاز دائم

إنه أحسن الكلام : «الله نزل أحسن الحديث كتاباً» (١) .. مضمونه يشهد ، والحكم متروك للعلماء ذوي الخبرة والانصاف !.. فهو كتاب محكم : «كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» (٢).

(٣٢) الآية ٦ سورة سبأ. (٣٦) الآية ٤٣ سورة العنكبوت. (٧) الآية ١ سورة هود.

(٣٣) الآية ٥٤ سورة الحج. (٣٧) الآية ١٩ سورة الرعد.

(٣٤) الآية ٢٨ سورة فاطر. (٣٨) للتوسع ينظر كتابي (القرآن اعجاز يتعاضد).

(٣٥) الآية ٤٩ سورة العنكبوت. (١) الآية ٢٣ سورة الزمر.

وإذا الخالق تولى إحكامها فمن يضارعه...؟! لا أحد إطلاقاً.. وهو يتحدى الخلق جميعاً: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله» (٣)..
وإذا كان لا يسع أحداً الايمان بسورة فقط فكيف ب كله...؟!

«قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (٤)..
ومضى من عمر التحدي أكثر من أربعة عشر قرناً ولا أحد يجرؤ على مس حرف واحد من هذا الكتاب الالهي لا بالتغيير ولا بالزيادة ولا بالنقص ، لماذا...؟

لأن منزله تبارك وتعالى تعهد فيه متحدياً :
«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» (٥).

فالقرآن معجزة كبرى تتزايد عظمتها بمرور الزمن.. وهذا وحده برهان يكفي من رسول أمي : «أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون» (٦).

من أراد أن يؤمن فعلاً ففي هذا الكتاب ما يغنيه..!

ويا لها من رحمة ينعم فيها المؤمن..! ويا لها من ذكرى تيقظه لاجتناب الشر كله وتحثه على فعل الخير كله فينال كرم الوجود بعباءة إلهي زاخر فياض في الدنيا والآخرة..!

سياق يراعي العقول في القرون الأولى وبالعبارة نفسها يهبط العقول في أيامنا

تضمن كلام الله القرآني حقائق كونية لم يكن العلم البشري قد توصل الى يقينيات بشأنها عند نزوله مثل كروية الأرض ودورانها والبعد السحيق لمواقع النجوم وجري الشمس ووجود أيام أطول من يوم الأرض والتميز بين النجم والكوكب وكون الجبال أثقالاً تضبط توازن الجرم والنبات أزواج والرياح ملقحة للنبات والعسل شفاء عام وغير ذلك كثير مما جاء العلم في العصر الحديث ببراهينه ليؤكد بشكل قاطع أن ما قاله القرآن منذ مئات الأعوام هو منتهى الدقة وهو كلام من خالق الكون أعلنه في زمن بعيد عن الاكتشافات الهائلة ثم هو إياه تبارك وتعالى فتح على البشر هذه الاكتشافات فأراهم بذلك مبلغ التطابق المدهش بين قول مضى عليه أكثر

(٥) الآية ٩ سورة الحجر.

(٣) الآية ٢٣ سورة البقرة.

(٦) الآية ٥١ سورة العنكبوت.

(٤) الآية ٨٨ سورة الاسراء.

من أربعة عشر قرناً وحقائق كونية كانت قائمة وقت نزول القرآن إلا أن البشر لم يكن لديهم التمكن العلمي للإحساس بوجودها حتى جاء العصر الحديث وراحت الكشوف تتوالى تباعاً بشكل زاهر وضخم هائل...١٠

أين الملفت للنظر هنا...؟ إن كلام الله ساق العبارة بوضع مناسب يراعي أوضاع العقول لدى نزوله بحيث لا ترتج ولا تتخبط حين يحدثها بأمور لا تفهمها بسبب ضآلة الجهد العلمي حولها ولكن بعبارة تنطق بتلك الحقائق الكونية وتراعي وجودها وينفس الوقت تجعل الناس لدى التنزيل ليس أنهم يتقبلونها فقط وإنما يأخذ كل قرن حصته من فيوضها ، حصته في إشعاع الإيمان ونور العلم وإشراق البصيرة ورسوخ اليقين الى يومنا والعملية تنطق بأن فيوضها القوية تتوالى وباستمرار حتى قيام الساعة كما وعد الله «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» (٧).

إن استخدام عبارة لها ذلك التمكن الرائع المدهش الذي يجتذب راعي الابل ومرتاد الكواكب وما بينهما من مستويات عقلية للبشر وأحوال علمية تختلف كمية ونوعاً بين عصر التنزيل وعصرنا لهو شأن لم نرَ له مثيلاً صدر من مخلوق حتى لو كان أعلم الناس وإنما هو بالقطع اقتدار إلهي يعبر عن عظمة العليم الخبير تبارك وتعالى...١٠

وأعتقد أن الذي خلق الكون بهذه التفاصيل والروائع لهو شأن يسير عليه بعدئذ أن يصوغ عبارات تأسر الأبواب وتبهرها في كل العصور...١٠

الله تعالى غيب ، أليس كذلك...؟ ولكن تلك اللمسات تجعلنا في عالم كأن الله عز وجل يحدثنا فيه بلا حواجز غيبية لأن القضايا المعروضة تتسم بمنتهى الضخامة والبراهين تمتلك أشد القوة والحقائق المقدمة تظهر وكأنها الشمس تتحدث بسطوعها عن نهار جميل...١٠

الله مهدى البشر بأنهم لن

يستطيعوا خلق ذي روح

التحدي هنا ليس يقتصر مثلاً على أساطين البلاغة وحدهم أو العلماء في صنف معين ، التحدي موجه هنا لكل البشر على اختلاف إمكاناتهم وفي كل عصر

(٧) الآية ٥٣ سورة فصلت.

أنهم مهما ارتقت قابلياتهم ومهما أتيح لهم من فيوض العلم فلن يستطيعوا خلق شيء بما يضارع فعل الله تعالى ولو أن هذا الشيء كان ذبابة...
يقول سبحانه: «يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» (٨).

نعم الإنسان يصل إلى القمر والكواكب وربما إلى المجرات الأخرى ويصنع آلات بمنتهى الدقة والعجب مما يفتح عليه الفتح العليم ولكنه لن يتاح له العلم والإمكان على خلق شيء فيه روح لأن هذا داخل في اختصاص إله يتصف تفرداً بالخلق...١.

والتحدي قائم إلى قيام الساعة.. البعض يزعم أن ما يسمى طفل الأنبوب (٩) في عصرنا هو قريب إلى عملية الخلق.. لا إن المواد المستعملة في طفل الأنبوب كلها من خلق الله وكلها تخضع لقوانينه هو ، وكل ما نراه هو أن الله تعالى فتح على الناس فاستطاع علماءهم أن يوجدوا طريقة لأن تحمل العاقر.. كل ما في الأمر أنهم استطاعوا معرفة إحدى الطرق لحصول الإنجاب أما العملية بكاملها فهي رهن تقدير الخالق مهما ضخم البسطاء تصوراتهم ومهما اشتط العلماء في تسمية الحقائق...١.

فيأيتها الزائغون هل أن التحدي انكسر حتى رحمت بجانبون صراط الحق...؟
عندما ينكسر التحدي من حقكم أن تتخذوا لأنفسكم سبلاً ومناهج كما تشاؤون أما أن التحدي قائم بكل الرهبة والهول خصوصاً مع تزايد فيوض العلوم ومكتشفاتها فإنكم لتبدون بذلك التملص صغاراً ضئيلي الشأن حتى لو اكتسب بعضكم أنفس الشهادات العلمية وحصل أوفر الخبرات إنكم تحطمون القيم العلمية التي تملكونها بذلك التصرف الذي لا تفسير له إلا أنكم صغار عقلياتكم هزيلة في مدار الحق...١.

(٨) الآية ٧٣ سورة الحج.

(٩) طفل الأنبوب هو عملية أخذ نطفة من ذكر وبويضة من أنثى ووضعها في أنبوب مهبطي بطرف مناسب لكي يتم التلقيح وحالاً يمضي وقت كاف لحصول التلقيح يؤخذ الكيان الجديد ويوضع في رحم المرأة التي تعذر أن يتم التلقيح في رحمها أي أنها تعاني العقم أو زوجها هو العقيم ، وبعد انتهاء فترة الحمل تلد المرأة جنينها بشكل طبيعي...١.

الله يتحدى بأن لا فرار من الموت

يقول تعالى : «أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة»^(١٠).. الإنسان يعيش لأجل معلوم عند الله تعالى ثم يقدر سبحانه باختصاص متفرد متى يموت.. بشر لا يحصيهم العدد عاشوا فوق الأرض منذ ابتداء الخليقة وإلى الآن فهل أن إنساناً استطاع ولو فلتة أن يخرق هذا القانون الالهي ويتابع الحياة إلى أيامنا..؟ لا.. والتحدي لما يزل قائماً رغم تزايد العلوم والخبرات ، ويبقى كذلك رغم أن مفاجآت المجهول قد تكون مذهلة للناس ولكنها لن تصل الى حد يقال فيه إن الله قال بأن الجميع يسري عليهم الموت ثم إن فلاناً ظل حياً كالمتنرد على القانون..!

لماذا..؟ لأن الله إذا قال ألحجز.. قال كلكم تموتون بعد أجل فلن تشهد الأرض شيئاً يعلمو على تلك الحقيقة إطلاقاً..! ومن أراد أن يحاول عليه أن لا يتردد ، بل أكثرية الناس يودون لو يتواصل بهم العيش ربما ليس بدافع كسر التحدي ولكن تشبهاً منهم بالحياة وارتهاباً من وقائع العالم الآخر ولكنهم يجدون أنفسهم مقهورين أمام سلطان هذا القدر المحتم ، فالموت واقع لا يعيق حصوله كسر التحدي لأنه متعذر ولا يؤخره التشبث بالعيش لأن الآجال قدرها الله وانتهى الأمر قبل أن يطل الإنسان على الدنيا..!

الإسراء والمعراج

يقول تعالى : «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئله من آياتنا إنه هو السميع البصير»^(١١) «وهو بالأفق الأعلى.. ثم دنا فتدلى.. فكان قاب قوسين أو أدنى.. فأوحى الى عبده ما أوحى.. ما كذب الفؤاد ما رأى.. أفتتمارونه على ما يرى.. ولقد رآه نزلة أخرى.. عند سدرة المنتهى.. عندها جنة المأوى.. إذ يغشى السدرة ما يغشى.. ما زأغ البصر وما طغى.. لقد رأى من آيات ربه الكبرى»^(١٢).

الاسراء بالنبي من المسجد الحرام في مكة الى المسجد الأقصى في فلسطين ومنها العروج به الى السماوات العلى حيث سدرة المنتهى والوحي له هناك بأوامر جديدة منها فرائض الصلاة ورويته من آيات ربه الكبرى.. كل هذا الحدث لو قسناه بالإمكانات المادية التي نعرفها لما أمكن تحقيقه خلال اعمار طويلة بسنين لاتعد ولا (١٠) الآية ٧٨ سورة النساء (١١) الآية ١ سورة الاسراء (١٢) الآيات ٧-١٨ سورة النجم.

محصى ، ولكنه تم فعلاً بقدرة الخالق عز وجل الذي يقول للشئء كن فإذا هو كائن
مثلاً أراد بالضبط ، ولقد تم ذلك كله في جزء يسير من الليل... ١٠٠

ويتساءل البعض : لماذا تم الأمر كله في جزء يسير من الليل ؟... فلو أنه
تم خلال أيام أو أسابيع يفتقد فيها وجود النبي بين ظهراني قومه وتتوفر في تلك
الغيبة شواهد في طريق ذهاب النبي وإيابه أوفر لكان كل امرئ يسمع بالمعجزة
لايملك إلا أن يصدق حد اليقين التام... ١٠٠

رويداً.. المعجزة هي تقدير من الله عز وجل وليست هي جارية وفق مانشاء
ونتمنى ، ثم لو أن الشواهد تكاثرت بوفرة بحيث لايملك السامع إلا أن يصدق فأين
هو الابتلاء... ؟

إن الذي أسرى بنبيه وعرج به إلى السماوات لقادر على سوق الشواهد بكثرة
ولكن الحكيم الخبير شاء أن يبتلي الناس بأن جعل المعجزة فيها من الشواهد ما
يكفي لأن تنال التصديق وهذا ما حصل لدى قوم جادين في إيمانهم صادقين في
التماس الحق لا تهمهم الكثرة في دلائل اليقين وإنما هم يعطون القليل منها
استحقاقه في النظر والقبول والاحترام... ١٠٠

وكثيرون لم تمتلئ قلوبهم بنور اليقين قالوا إن المعجزة تمت بالروح فقط
واستبعدوا أن تقع بالجسد ايضاً لأنهم يرون الأمر عندئذ سائغاً ولا يثير إشكالات ،
ولكنهم نسوا أنهم بذلك يضعون القيود على قدرة القوي العزيز تبارك وتعالى ، ثم
لو أن المعجزة حصلت بالروح فقط فعلام تثار حولها الاحتجاجات لكان الأمر إذن هو
رؤيا تحصل لأي إنسان يرى فيها العجائب مما يسوغ ولايسوغ ؟... ثم كيف يتأتى
لإنسان أسرى بروحه فقط أن يخبر عن شواهد حسية رآها في الطريق بين مكة وبيت
المقدس أعني القافلة وعدد جمالها ووصف أحدها وهو الأورق الذي يتقدمها وكذلك
وصف المسجد الأقصى بدقة كما لو كان موضوعاً بين يدي المتحدث وهو لم يسبق له
أصلاً أن زار فلسطين ، أي لم يرَ هذا المسجد المبارك... ١٠٠

إن الأمر تم لرسول الله بالجسد والروح معاً أما مسألة الزمن والمسافة فيجب
أن لاتخضعها لقيود العقل البشري لأن قدرة ربنا لاتعرف المستحيل ومن السذاجة
أن يطلب المرء دليلاً يتأكد فيه أن الاقتدار الإلهي لايعرف المستحيل لأن الأدلة
بلا حصر وهي تملأ كل زاوية في السماوات والأرض ، أما إن قال إنه كليل البصر

فهذا لا يقع ذنباً على الأدلة وإنما العيب في تغطية البصر ومطابقة الشيطان الرجيم في اللجاجة إزاء الحق...١٠

شواهد الاستيقان بالمعجزة هي حقاً جد كافية.. كان بمقدور الله عز وجل أن يعرج بنبيه إلى السماوات العلى رأساً دون داع للإسراء إلى فلسطين ولكنه أراد بالإسراء وما رافقه من شواهد رؤية الآتى ووصف معالنه وكذلك الإخبار عن القافلة وأحوالها أن يراعي وضع العقل البشري وأنبياره أمام الخوارق خصوصاً الكهري فمن تلمس هذه الشواهد الحسية يتنبها عندئذ لتصدق المعجزة عروج الرسول إلى السماء...١١

وما أعظم قدر الصلاة إذ هي عدا سائر فرائض الدين يتم الإيعاء بها في السماوات العلى عند سدره المنتهى .. إنها الركن الوحيد الذي يجب أدائه في كل الحالات سواء المرض أو السفر أو الخوف أو العجز ، بل حتى لو كان المرء على فراش الموت فإنه مطالب بأداء الصلاة بأي وضع أمكنه ولو أداها وهو يومئ بعينه بينما الأركان الأخرى كالصوم يمكن قضاؤه للمسافر والمريض فيما بعد وفي حالة مرض لا يرجى شفاؤه يكون إطعام مسكين ، والزكاة لا تجب إلا على المستطيع الذي فاض عنده المال إلى الحد المقتضي لأداء الزكاة ، والحج أيضاً لا يجب إلا على القادر في المال والصحة...١٢

إن تارك الصلاة يعتبر كافراً كما ورد في الحديث النبوي (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة)^(١٣) أما تارك إحدى الفرائض الأخرى إن لم يكن ذلك عن جهود فهو عاص ولا يبلغ به الجرم حد الكفر...١٣

والملاحظ بكثرة أنك لا ترى بين ملازمي أداء الصلاة من يعمد إلى ترك الصوم والزكاة والحج ولكنك ترى بين تاركي الصلاة من يتخلى عن أداء الأركان كلها ، ومن هذا يتضح أن الصلاة كما قال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام : (إن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله)^(١٤) فمن أقامها كان أطوع في أداء سائر الفرائض ومن تركها كلها كان أيسر عليه ترك الفرائض الأخرى...١٤

وهي الفريضة التي يتم أدائها في اليوم الواحد خمس مرات بل إن الأذان بها والانشغال بأدائها يكونان كل لحظة في كوكب أرضي يدور حول نفسه بينما الصوم والزكاة يؤديان مرة في العام والحج يؤدى مرة في العمر...١٥

(١٣) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه. (١٤) رواه الطبراني.

فليس كثيراً بعد أن يختص الإيحاء بها في السماء وأن يرتبط ذلك بأعظم معجزة هي الإسراء والمعراج التي أكرم بها أفضل المخلوق طراً خاتم الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام..١٠

وفي الصباح حدث قومه بما حصل ، فكان أمام امتحان..١٠
هم يعرفون أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يَر من قبل بيت المقدس فقالوا له:
صف لنا المسجد.. فوصف معالم الأقصى بدقة.. ولم يكتفوا ، كأنهم شكوا بأنه قد
يكون رآه في سابق عمره دون علمهم.. فقالوا : أخبرنا عن غيرنا القادمة من
الشام..١٠

وهذا شاهد حاسم للأمر كله..١٠
فأخبرهم صلى الله عليه وسلم بعدد جمالها وأحوالها ، وقال :تقدم يوم كذا
مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق.. فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية
لمراقبة مقدم العير ، فقال قائل منهم : هذه والله الشمس قد أشرقت.. فقال آخر :
وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد..١٠
ولكن هذا البرهان زادهم عناداً..١٠

بأي (حجة) لا ذوا..؟
قالوا : إنه سحر مبین..١٠
وارتد ناس كانوا قد آمنوا..١٠
وسعى نفر الى أبي بكر رضي الله عنه فقال لهم : أوقال ذلك..؟ قالوا :
نعم.. قال : فانا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق..١٠ قالوا: فتصدقه في أن يأتي
الشام في ليلة واحدة ثم يرجع الى مكة قبل أن يصبح..؟ قال : نعم ، أنا أصدقه
بأبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء..١٠ فسمى الصديق^(١٥).

نبوة يموت أبي لهب
وزوجه على الكفر
قال تعالى :«تبت يدا أبي لهب وتب.. ما أغنى عنه ماله وما كسب..
سيصلى ناراً ذات لهب.. وامرأته حمالة الحطب.. في جيدها حبل من مسد»^(١٦) .
معنى هذا الكلام أن أبا لهب وزوجه يموتان على الكفر ولن يقدر لهما الإيمان
بالإسلام.. متى قيل هذا الكلام..؟

(١٥) تلتبس التفاصيل في كتب السيرة. (١٦) سورة المسد.

في الأعوام الأولى للبعثة وقيل موت أبي لهب وزوجه بسنين..١٠ معلوم أن كفار قريش جميعهم كانوا حريصين على أن يهدموا الدين الجديد عن طريق العقل والحجة والبرهان وأنهم نظراً لإفلاسهم في هذا المجال راحوا يستعملون البطش والقمع والإرهاب.. وبدل حرب طويلة استنزفت كل طاقاتهم وظهروا بوجوه وايدٍ تحمل الخزي والهزيمة لماذا لم ينتهزوا الفرصة باستئلال (قاصصة الظهر) وهي إعلان أبي لهب وزوجه الإيمان بالإسلام وبذلك يضعون (عدوهم) في موقف الإتهيار..١٠؟ هل كان المانع مغالاتهم في معاداة الدين الجديد ورسوله حرصاً على مطامع خاصة..؟ إن كثيراً من الشخصيات الحكيمة التي كانت لاتقل عنهما كراهية للإسلام وعداءٌ قد أسلمت رغم كل موقفها السابق كخالد بن الوليد وعكرمة وعمرو بن العاص وزعيم قريش أبي سفيان..١٠ إنه التحدي من القوي العزيز حجب عنهما الإيمان حتى بطريقة النفاق.. وبقيت النبوة تحتفظ بجلالها وإلى آخر لحظة رغم الاقتدار الملحوظ للمشركون في أن يردوها وبذلك هم يطيحون بالإسلام من أقصر الطرق ، ولكن هيهات مادام رب العزة والجلال قد شاء نبوة يكرم بها رسوله الصادق الأمين ومادام هو بعظمته جل وعلا المتحدي والقاهر..١٠

نبوة بانتصار الروم

يقول تعالى :«غلبت الروم.. في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيفلبون.. في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون.. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.. وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون»(١٧).

كانت فارس ظاهرة على الروم.. وعاطفة مشركي مكة مع ظهور فارس ، ومشاعر المسلمين مع ظهور الروم لأن هؤلاء أهل كتاب وهم أقرب الى دينهم.. فلما نزلت هذه الآيات قال المشركون لأبي بكر : إن صاحبك يقول إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين.. قال : صدق.. قالوا : هل لك أن تقامر^(١٨)؟ فاتفقوا معه على أربع قلائص الى سبع سنين.. فمضت السبع ولم يكن شيء.. ففرح المشركون بذلك وشق على المسلمين.. فذكر الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : (ما بضع سنين عندهم..؟) قالوا : دون العشر.. قال لأبي بكر : (اذهب فزايدهم

(١٧) الآيات ٢-٦ سورة الروم.

(١٨) أي نراهنك .. قبل تحريم الرهان بوصفه من الميسر.

وازدد سنتين في الأجل).. ففعل الصديق ، وما مضتُ السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ، ففرح المسلمون بذلك^(١٩).

نبوة لما يحدث بعد تسع سنين بسطرها الله عز وجل في كتابه الخالد المنزل منهاجاً يستمسك به الناس الى آخر يومهم على الأرض أفلا تقع؟! لو بقي من موعد الرهان دهر لما شك مؤمن صادق ثابت اليقين بأن النبوة واقعة كما قال الله تعالى بالضبط.. وهذا ما كان يؤمن به الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سألهم عن معنى (بضع سنين) في لغة العرب.. وقد تحققت النبوة لتبقى شاهداً قوياً الحجة للاحقين كما هي للسابقين..!

انشقاق القمر نصفين

يقول تعالى :«اقتربت الساعة وانشق القمر.. وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر»^(٢٠) عن أنس رضي الله عنه (أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما)^(٢١) ويقول ابن مسعود رضي الله عنه : (انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اشهدوا)^(٢٢).

هم طلبوا آية حتى يؤمنوا فحصلت وفق اشتراطهم فأبوا قائلين إنه السحر ، وراحوا يسألون السفار فأجاب هؤلاء بأنهم رأوا انشقاق القمر حقيقة .. لمسوا بغيتهم فأعرضوا ، وباله من تصرف مشين..!

و (لقد عثر في الصين على بناء قديم مكتوب فيه أنه بني عام كذا الذي وقع فيه حادث سماوي عظيم هو انشقاق القمر نصفين.. وبالتحري وجد أن تاريخه يوافق سنة انشقاق القمر لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم)^(٢٣).

ثاني اثنين في الغار

يقول تعالى :«ألا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم»^(٢٤).

(١٩) ينظر (في ظلال القرآن) المجلد السادس ص ٤٣٧ (٢٣) (بينات المعجزة الخالدة) ص ٥٨.

(٢٠) الآيتان ١ و ٢ سورة القمر. (٢٤) الآية ٤٠ سورة التوبة.

(٢١) رواه البخاري.

(٢٢) رواه البخاري.

اثنان فقط هما الرسول وصاحبه الصديق خرجا من مكة فارين بدينهما للهاق بدار الهجرة موطن الأنصار ولم يكن معهما جيش ولا عدة للإفلات من قبضة قريش الدائبة بأشد الرجال للقضاء على محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد أن اعبتها الحيلة ودخل النبي وصاحبه غار جبل ثور قرب مكة فيما القوم يتعقبون أثرهما ، وأمام فتحة الغار انقطع الأثر ، وأوشكوا على الظفر بهما ولكن الله تعالى حال دون هذا المطلب الشرير.. قال الصديق رضي الله عنه : لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا.. فرد عليه رسول الله مطمئناً : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما..؟) وينظر الى صاحبه الصديق وقد بدا الحزن والاضطراب على وجهه فيحاول أن يخفف بعض ما به فيقول أبو بكر : أما والله لست على نفسي حزناً ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره.. فيسكن روعه الرسول : (لا تخف إن الله معنا) (٢٥).

وهكذا فعل الله تعالى ما أراد ، فأقلت رسول الله والصديق من هلاك كان وشيكاً ، وبلغ الاثنان المدينة سالمين بعد أن ظللهما الكنف الالهي طوال طريق حفت به الأخطار المميتة من كل صوب.. ١.

معركة بدر

يقول تعالى : «ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون.. إذ تقول للمؤمنين : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين.. بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين.. وما جعله الله إلا بشراً لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.. ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين» (٢٦).

(النصر في بدر كان فيه راحة المعجزة ، فقد تم بغير أداة من الأدوات المادية المألوفة للنصر.. لم تكن الكفتان فيها - بين المؤمنين والمشركين - متوازنتين ولا قريبتين من التوازن.. كان المشركون حوالي ألف خرجوا نفيراً لاستغاثة أبي سفيان لحماية القافلة التي كانت معه مزودين بالعدة والعتاد والحرص على الأموال والحمية للكرامة ، وكان المسلمون حوالي ثلاثمئة لم يخرجوا لقتال هذه الطائفة ذات الشوكة إنما خرجوا لرحلة هيئة ، لمقابلة القافلة العزلاء وأخذ الطريق عليها، فلم يكن معهم - على قلة العدد - إلا القليل من العدة.. وكان وراهم في المدينة مشركون لا تزال (٢٥) متفق عليه. (٢٦) الآيات ١٢٣-١٢٧ سورة آل عمران.

لهم قوتهم ، ومنافقون لهم مكانتهم ، ويهود يترصون بهم.. وكانوا هم بعد ذلك كله قلة مسلمة في وسط خضم من الكفر والشرك في الجزيرة ، ولم تكن قد زالت عنهم بعد صفة أنهم مهاجرون مطاردون من مكة وأنصار آووا هؤلاء المهاجرين ولكنهم لا يزالون نبتة غير مستقرة في هذه البيئة..(٢٧).

حصار الخندق

يقول تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً.. إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا.. هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً.. وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً.. وإذ قالت طائفة منهم : يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون : إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً»(٢٨).

ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل من قريش وأحلافها يطوقون ثلثي المدينة فيما يقف على الثلث المتبقي اليهود من بني قريظة وهم غير مباينين بحفظ عهدهم للرسول.. والمسلمون في ثلاثة آلاف مقاتل فقط وسطهم جمع كبير من أهل النفاق يقول قائلهم : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقبصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.. وجمع منهم يستأذن النبي للرجوع إلى دورهم خارج المدينة مدعين أنها مكشوفة أمام العدو..

يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه متحدثاً عن الأيام الأخيرة من حصار الخندق : صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هرباً من الليل ثم التفت إلينا فقال : (من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة..؟) فما قام رجل من شدة الخوف والجوع والبرد ، فلما لم يقوم أحد دعاني رسول الله فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال : (يا حذيفة اذهب فأدخل في القوم فانظر ماذا يصنعون ولا تحدث شيئاً حتى تأتينا) فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ولا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء ، قام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ من جلسه .. فأخذت الرجل الذي

(٢٧) (في ظلال القرآن) المجلد الثاني ص ٦٨.

(٢٨) الآيات ٩-١٣ سورة الاحزاب.

كان الى جنبي فقلت : من أنت؟ قال : فلان ابن فلان... ثم قال أهر سفيان :
يامعشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والجحف (يعني
الخيل والجمال) وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح
ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل^(٢٩).

ريح تعصف بمعسكر المشركين وحدهم دون أن يشعر بها المسلمون وهم عنها
غير بعيدين... هي هناك تقلب قدورهم وتطير خيامهم وتقلع أوتادها وتزلزل
أفئدتهم بالرعب ، وهي هنا ريح باردة رخاء تنعش ولا تؤذي أحداً...^(٣٠).
يوم حنين

يقول تعالى : «لقد نصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين إذ اعجبتكم
كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين... ثم
أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين
كفروا وذلك جزاء الكافرين»^(٣١).

موطن عديدة نصر الله تعالى فيها المسلمين وهم قلة على اعداء يشكلون
كثرة.. ففي بدر والخندق مثلاً كان النصر لقوة الإيمان رغم عدد أصحابها القليل
وتجهزهم المادي البسيط إزاء عدو يفوقهم عدداً بثلاثة اضعاف مع وفرة في السلاح
والعتاد والركائب.

أما يوم حنين عندما أقبل المسلمون باثني عشر ألف مقاتل لمنازلة هوازن
وثقيف وقبائل أخرى تناصرها فكانت النتيجة في الشطر الأول من المعركة خلاف
ما اعتاد المسلمون لأنهم اعتقدوا بأنهم لا محالة منتصرون بكثرة العدد...
التقى الجانبان بواد بين مكة والطائف يقال له حنين عندما انحدر المسلمون
في غلس الصبح الى اسفل الوادي وقد كمنت فيه هوازن فبادرتهم رشقاً بالنبال
وضرباً بالسيوف حملة رجل واحد قولى المسلمون الأدبار ولم يثبت إلا الرسول صلى
الله عليه وسلم وحوالي مئة من كبار الصحابة...^(٣٢)

فأمر النبي عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي بأعلى صوته :
يا أصحاب الشجرة - يعني شجرة بيعة الرضوان التي بايعه المسلمون من المهاجرين
والأنصار تحتها ألا يفروا عنه - يا أصحاب سورة البقرة .. فجعلوا يقولون : يا بيبك
يا بيبك.. وانعطف الناس فتراجعوا الى رسول الله فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن

(٢٩) تنظر (السيرة النبوية) لابن هشام المجلد الثاني ص ٢٣٢.

(٣٠) ينظر (فقه السيرة) للبوطي ص ٢٣٥ . (٣١) الأيمان ٢٥ و ٢٦ سورة التوبة.

يصدقوا الحملة.. فما لبث المشركون غير قليل ثم انهزموا فأتبع المسلمون أقفاهم يقتلون منهم ويأسرون... (٣٢).

عدد قليل مع إيمان بالله تعالى غير مشوب يكون حليفه النصر.. ثم عدد متفوق مع إيمان بالله تعالى مشوب يكون حليفه الانهزام.. وبعد تصحيح الاعتقاد بأن النصر من عند الله تعالى وحده جاء المدد الإلهي فتبدلت الهزيمة نصراً..
قانون راسخ هذا الذي يتعامل معه المسلمون.. اعطى الله تعالى إيماناً غير مشوب يعطيك تحقيق وعده بالنصر ، وبخلاف هذا إن وجد علام الغيوب شائبة تخالط ذلك الإيمان فلا قائمة تقوم وإن توفر التفوق العددي وكل مستلزمات القتال
الراجع الكفة..

مطالب لاتليق

قرآن تغهر به السان الكونية

يقول تعالى : «ولو أن قرآننا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعاً ، أفلم يئأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ، ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد» (١).

يذكر القرطبي أن نفراً من مشركي مكة فيهم أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية المخزوميان جلسوا خلف الكعبة ثم أرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم ، فقال له عبدالله : إن سرك أن تتبعك فسير لنا جبال مكة بالقرآن ، فأذهبها عنا حتى تنفسح فإنها أرض ضيقة ، واجعل لنا فيها عيوناً وانهاراً حتى نفرس ونزرع ، فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود سخر له الجبال تسير معه ، وسخر لنا الريح فنركبها الى الشام نقضي عليها ميرتنا وحوائجنا ثم نرجع من يومنا ، وقد كان سليمان سخرت له الريح كما زعمت فلست بأهون على ربك منه ، وأحي لنا قصياً جدك أو من شئت أنت من موتانا نسأله أحق ما تقوله أنت أم باطل.. ؟ فإن عيسى كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله منه.. فأنزل تعالى قوله «ولو أن قرآننا سيرت به الجبال..» الآية (٢).

(٣٢) ينظر (تفسير القرآن العظيم) الجزء الثاني ص ٢٤٣ . (١) الآية ٣١ سورة الرعد.

(٢) ينظر (الجامع لاحكام القرآن) الجزء التاسع ص ٣١٨

مطالب حرية بالرفض وقد كان ، فلهجة أصحابها تفصح عن السخرية ولا تقصد الإيمان.. وفي الحق فإن هذا القرآن (صنع في النفوس التي تلقته وتكيفت به أكثر من تسبير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى ، لقد صنع فيها خوارق أضخم وأبعد آثاراً في اقدار الحياة بل أبعد أثراً في شكل الأرض ذاته ، فكم غير الإسلام والمسلمون من وجه الأرض الى جانب ما غيروا من وجه التاريخ..؟

وإن طبيعة هذا القرآن ذاتها ، طبيعته في دعوته وفي تعبيره ، طبيعته في موضوعه وفي أدائه ، طبيعته في حقيقته وفي تأثيره .. إن طبيعة هذا القرآن لتحتوي على قوة خارقة نافذة ، يحسها كل من له ذوق وبصر وإدراك للكلام واستعداد لإدراك ما يوجه اليه ويوحى به ، والذين تلقوه وتكيفوا به سيروا ما هو أضخم من الجبال وهو تاريخ الأمم والأجيال ، وقطعوا ما هو أصلب من الأرض وهو جمود الأفكار والتقاليد وأحيوا ما هو أخمد من الموتى وهو الشعوب التي قتل روحها الطفيلان والأوهام ، والتحول الذي تم في نفوس العرب وحياتهم فنقلهم تلك النقلة الضخمة دون أسباب ظاهرة إلا فعل هذا الكتاب ومنهجه في النفوس والحياة ، أضخم بكثير من تحول الجبال عن رسوخها وتحول الأرض عن خمودها وتحول الموتى عن الموت..(١) (٣).

يريدونه رسولاً يخلق ما يشتهون

يقول تعالى :«وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً.. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً.. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبلاً.. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه» (٤).

أهذا قول إنسان يريد الإيمان حقيقة وفعلًا..؟ لا والله.. أين عقول هؤلاء وأين تمييزهم إذن..؟ قرآن هو كلام الخالق عز وجل لا يستلطف عقولهم فما الذي غطاها..؟ نعم إنها مغطاة بركام الشهوات والأهواء.. وطلبهم معجزات حسية من هذا القبيل لهو دليل على أنهم لا يفكرون بعقل وإنما يفكرون بما يدخل المعدة التذاذاً..!

وإنهم يريدون الفرجة .. وأي فرجة..؟ أن يحضر الإله مصحوباً بملائكته فيزكون الرسول أمامهم وينصرونه وأن يعطى هذا الرسول بيتاً من زخرف تنبيه في (٣) (في ظلال القرآن) المجلد الخامس ص ٩٦ (٤) الآيات ٩٠-٩٣ سورة الاسراء.

حسنه العيون ، ولا يكفي أن يعرج الى السماء وهم ينظرونه وإنما لابد أن يعود اليهم ومعه كتاب محبر بقرؤونه..!!

أهكنا نسمى العقول ؟.. وإلى هذا الحد يسخف إنسان ؟.. جهنم شيء هائل ، عذابها فظيع والخلود فيها أدهى وأمر ولكنها لا تستكثر مادام هناك رواد عظام على شاكلة أولئك المنافقين..!

المنافقون

يظهرون خلاف ما يطمنون

يقول تعالى : «وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون»^(١) «وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون»^(٢) «يخادعون الله والذين آمنوا»^(٣) «وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا.. مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا إلى هؤلاء»^(٤) «يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم»^(٥) «إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً»^(٦) «واتخلوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله»^(٧).. فنفهم :

أولاً- أعمالهم الإفساد وادعائهم الإصلاح.

ثانياً- يلقون المؤمنين بوجه ويأتون أعداء المؤمنين بوجه.

ثالثاً- إنهم يخادعون الله بخادعتهم الذين آمنوا.

رابعاً- لولا مراعاتهم الناس لما صلوا ، إنهم لا يتشوقون الى الله تعالى ولا يذكرونه إلا عند اقتضاء النفاق.. مذبذبين غير ثابتين في صف مستقل.

خامساً- يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف كلما أمكنهم ذلك وإلا فهم يكتمون مشاعرهم متظاهرين بخلاف طويتهم.. ويبخلون بالمال فلا يبذلونه إلا رياء لأنهم قد نسوا ربهم سبحانه فتركهم يتحدرون.

(١) الآية ١١ سورة البقرة. (٤) الآيتان ١٤٢ و ١٤٣ سورة النساء.

(٢) الآية ١٤ سورة البقرة. (٥) الآية ٦٧ سورة التوبة. (٧) الآية ٢ سورة المنافقون.

(٣) الآية ٩ سورة البقرة. (٦) الآية ١٤٠ سورة النساء.

سادساً- يجارون الكفرة في مجالس الاستهزاء بآيات الله.
سابعاً- عندما ينفذ أمرهم بكيد دبروه أو بمقالة سوء أشاعوها يلجؤون الى القسم بالآيمان لإبعاد الشبهات عنهم وتقرير أغراضهم الشريرة.
إنها ملامح لا تقتصر على المنافقين في عصر معين وإنما هي سماتهم في كل العصور ، لقد أحصاها خالق النفس البشرية وحلر منها في كتابه لأن هذا الصنف من الناس هدام لاسيما بالنسبة لدين يشيع الفضائل وينقي السرائر.
فضح تواطئهم مع الأعداء

أولاً- يقول تعالى: «الذين يتريصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم؟ وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم وفنتكم من المؤمنين؟ فالله يحكم بينكم يوم القيامة ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً»^(٨).. إذا انتصر المؤمنون قال لهم المنافقون: «ألم نكن معكم»..؟ إنهم كانوا يخرجون معهم أحياناً ولكن ليس لنصرتهم وإنما لتخذيذهم ونشر البلبلة في صفوفهم.. وإذا انتصر الكافرون قال لهم المنافقون: «ألم نستحوذ عليكم وفنتكم من المؤمنين»..؟ أي أنهم خذلوا المؤمنين ونشروا البلبلة بينهم..!

ثانياً- يقول تعالى: «ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتهم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون.. لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون»^(٩)..
الله تعالى العليم الخبير يكشف ما قاله المنافقون ليهود بني النضير وميط اللثام عن حقيقة الرباط الخفي بين الكفار من أهل الكتاب وطائفة المنافقين لإخوانهم ولو أنهم يرتدون لباس الإسلام..!

وليس ذلك فقط وإنما يعلن الله تعالى كذب ذلك التعهد والالتزام القولي «والله يشهد إنهم لكاذبون» كيف..؟ «لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون» لماذا..؟ «لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون.. لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد

(٨) الآية ١٤١ سورة النساء . (٩) الأيتان ١١ و ١٢ سورة الحشر.

نحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون» (١٠).

ثالثاً- يقول تعالى : «قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً.. أشعة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشعة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً.. يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنثائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً» (١١).

سعيهم بالتخذييل بين الصفوف المسلمة ودعوتهم الى القعود عن الجهاد ، هذا المكر مهما استدق وتوارى فهو مكشوف أمام الله تعالى ، بل غدا مفضوح السمات في القرآن الكريم ليطلع عليها المؤمنون في كل الزمان اللاحق ويحذروها..
كشف سوتهم المخيا

أولاً- يقول تعالى : «يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون.. ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون» (١٢).

في الطريق الى غزوة تبوك قال بعض المنافقين لبعض : أنحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً..؟ والله لكأنا بكم غداً مقرنين بالهبال..
ارجافاً وترهيباً للمؤمنين ، فقال أحدهم وهو مخشي بن حمير والله لوددت أن أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مئة جلدة وأتأنا نتجو أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمار بن ياسر رضي الله عنه : (ادرك القوم فإنهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى قلتهم كذا وكذا) فانطلق اليهم عمار فقال لهم ذلك ، فأتوا رسول الله يعتلون اليه (١٣).

ثانياً- يقول تعالى : «يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد

(١٠) الأيمان ١٣ و ١٤ سورة الحشر. (١٣) تنظر (السيرة النبوية) لابن هشام ص ٥٢٥.

(١١) الآيات ١٨-٢٠ سورة الاحزاب.

(١٢) الأيمان ٦٤ و ٦٥ سورة التوبة.

اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله» (١٤).

يقسم المنافقون أنهم لم يشتموا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن الله يؤكد أنهم قد شتموا رسوله فكفروا.. ولقد هم المنافقون بقتل الرسول لكنهم لم ينالوا بغيتهم لأن الله قد تكفل بحفظه ورعايته (١٥).

ثالثاً- يقول تعالى: «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون» (١٦).

يدلون بشهادة اللسان ليغطوا سوأهم الدفين أما شهادة القلب المستورة بين الجوانح فيعلم الله أنها نقيض ما يظهرون.. (والتعبير من الدقة والاحتياط بصورة تثير الانتباه ، فهو يبادر بتثبيت الرسالة قبل تكذيب مقالة المنافقين.. ولولا هذا التحفظ لأوهم ظاهر العبارة تكذيب المنافقين في موضوع شهادتهم وهو الرسالة ، وليس هذا هو المقصود ، إنما المقصود تكذيب اقرارهم فهم لا يقرّون الرسالة حقاً ولا يشهدون بها خالصي الضمير.. (١٧).

رابعاً- يقول تعالى: «وإذا رأيتمهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون» (١٨).

إذا رأيتمهم تعجبك أجسامهم الطويلة وإن يقولوا ترى كلامهم حسناً لكنهم كاخشب لا تفقه وليس فيها روح ، ومن علامة حقيقتهم الباطنة أنهم جنباء يحسبون كل نداء ضدهم لأن طويتهم قتلى بالسوء ومظاهرتهم تتكلف إخفاء ما يضررون..

«هم العدو فاحذرهم».. وما أخطر هذا العدو يندس بين الصفوف ويبث سمومه وهو آمن الرد والعقوبة ، إن الحذر منه يأتي قبل الحذر من ذلك العدو المكشوف وراء الحدود ، وهاهو ذا علام الغيوب يطلق نبيه على الخطر المتخفي ليحذر الساعين به..

(١٤) الآية ٧٤ سورة التوبة.

(١٥) ينظر (تفسير المؤمنين) وتلتبس التفاصيل في روايات للإمام أحمد والطبري.

(١٦) الآية ١ سورة المنافقون.

(١٧) الآية ٤ سورة المنافقون.

(١٨) (في ظلال القرآن) المجلد الثامن ص ١٠٧.

أشخاص لهم دلالات

حواء

يقول تعالى : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها »^(١) « وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء »^(٢) .. فنفهم :

أولاً- النفس الواحدة هي آدم عليه السلام.

ثانياً- خلق من آدم زوجه حواء .

ثالثاً- جعل السكن بينهما .

رابعاً- بث منهما الرجال والنساء بالتوالد .

قيل إن آدم بقي وحيداً بعض الوقت ولم يكن معه من يستأنس به ، فالتقى الله تعالى عليه النوم ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه اليسرى ووضع مكانه لحماً وخلق حواء منه ، فلما استيقظ وجد امرأة عند رأسه ، فسألها : من أنت ؟ قالت : امرأة .. قال : ولم خلقت .. ؟ قالت : لتسكن إلي^(٣) .

ابن آدم

يقول تعالى : « واتلّ عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين .. لئن بسطت الي يدي لأقتلنك ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين .. إني أريد أن تبوأ بأثمي وأثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين .. فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين .. فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سواة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخى فأصبح من النادمين .. من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً »^(٤) .. فنفهم :

أولاً- الانسان مطبوع على الخير والشر منذ أوائل الخليقة .

ثانياً- وجود الشحناء والعدوان والنزاع منذ بداية العيش فوق الأرض .

ثالثاً- أخلاق طيبة تقابلها أخلاق سيئة .

رابعاً- لم يترك الله الإنسان يمضي أطول وقت في تعلم الأشياء الضرورية

(١) الآية ١٨٩ سورة الاعراف . (٢) الآية ١ سورة النساء . (٤) الآيات ٢٧-٣٢ سورة المائدة .

(٣) ينظر (الجامع لاحكام القرآن) الجزء الخامس ص ٢ و (مع التبيين في القرآن) ص ٣٧ .

وإنما كان يرشده الى أصح عادات الحياة ويشكل لا يخلو من العبرة.

خامساً- وجود تعاليم إلهية يتبعها الانسان.

سادساً- «التقوى» و«التقرب الى الله» و«حرمة النفس» و«استبشاع قتلها» و«الاثم» و«مقت التصرف الفاسد» و«الظلم» و«النفس الأمارة بالسوء» و«الندم» و«الخسران» و«النار» و«الخوف من الله» و«رب العالمين».. هذه المعاني والقيم والافكار والنظرات في إظهارها العام تتطابق مع امثالها الواردة في الإسلام مما يدل على أن شريعة آدم وشريعة محمد عليهما الصلاة والسلام مصدرهما إله واحد لعدم اختلاف جوهرهما رغم طول الزمن الفاصل بينهما.

سابعاً- الطبع الانساني ثابت عريق لم يتبدل وعناصر المنهج الالهي الاساسية ظلت راسخة كذلك ، وهذا شيء كبير جداً يحسن استيعابه باهتمام.

يروى أن الصالح من ابني آدم اسمه هابيل وأخاه الأكبر اسمه قابيل وهو القاتل الشرير.

امراتا نوح ولوط

يقول تعالى :«ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقبل ادخلا النار مع الداخلين»^(٥).. فنفهم :

أولاً- الصلاح يتحقق بفعل ذاتي مختار.

ثانياً- يكون الاعتداد بنسب العقيدة فقط.

ثالثاً- روابط القرى وحدها لا تجدي.

رابعاً- الرسول لا يغني عن زوجته إذا استحققت النار.

ابن نوح

يقول تعالى :«وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين.. قال سأوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المفرقين.. وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيبض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين.. ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني

(٥) الآية ١٠ سورة التحريم.

من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين.. قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنّ ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين.. قال ربي إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين» (٦) .. فنفهم:

أولاً- أن تتغطى قمم الجبال بماء الطوفان يوحى بأن كل ما على الأرض قد غرق باستثناء سفينة نوح عليه السلام.

ثانياً- إنه انتقام هائل أعقب دعوة هذا الرسول الكريم «فدعا ربه أني مغلوب فانتصر.. ففتحتنا أبواب السماء بماء منهمر.. وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر.. وحملناه على ذات ألواح ودسر.. فنجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر» (٧).

ثالثاً- انتصر الله لنوح ولكنه عز وجل لم يستثن ابناً لرسوله من هذا العقاب الشديد رغم أنه التمس ذلك بدعاء رقيق «رب إن ابني من أهلي» بل رد عليه بحسم «إنه ليس من أهلك» «إنه عمل غير صالح» «فلا تسألنّ ما ليس لك به علم» «إني أعظك أن تكون من الجاهلين».

رابعاً- على المؤمن عدم الاحتجاج بقرى الدم على حساب العقيدة وأن لا يسأل الله تعالى بدون علم تحت ضغط العاطفة مثلاً..!

آزر والد ابراهيم

يقول تعالى: «واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقاً نبياً.. إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً.. يا أبت إني قد جاني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً.. يا أبت لاتعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصباً.. يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً.. قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً.. قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيلاً.. واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيلاً.. فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً» (٨) «قد كان لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده

(٦) الآيات ٤٢-٤٧ سورة هود (٧) الآيات ١٠-١٤ سورة القمر (٨) الآيات ٤١-٤٩ سورة مريم

إلا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء. ربنا عليك
توكلنا واليك أنبأنا واليك المصير»^(٩) «وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن
موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن ابراهيم لأواه حليم»^(١٠)..
فنفهم :

أولاً- ابراهيم عليه السلام يخاطب أباه الضال بأسلوب جميل يزينه الأدب
والحجج العقلية والتحذير الحاني.

ثانياً- آزر يفعل النقيض فهو لا يقيم وزناً لكل ما أبداه ابراهيم بل يريد منه
بلا اقناع أن لا يفادر عبادة الأصنام مهدياً له بالرجم إن رفض
الإستجابة..! وهذا شأن أكثر الآباء الضالين مع أبنائهم المهتدين ، فما
أحسن أسوة ابراهيم..!

ثالثاً- تبرأ إبراهيم من أبيه لما وجده مصرأً على الضلال مؤكداً بذلك أن
رباط الدم لا يساوي شيئاً بدون رباط العقيدة ومضى ثابت الخطو في
طريقه القويم غير ملتفت الى الوراء.

مسارة

يقول تعالى :«هل أتاك حديث ابراهيم المكرم.. إذ دخلوا عليه
فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون.. فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين.. فقربه اليهم
قال ألا تأكلون.. فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشره بغلام عليم.. فأقبلت
امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم.. قالوا كذلك قال ربك إنه هو
الحكيم العليم»^(١١) «وامراته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق
يعقوب.. قالت ياويلتى ألأد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب..
قالوا أتعجبين من أمر الله»^(١٢) .. فنفهم :

أولاً- هي امرأة خليل الرحمان ابراهيم عليه السلام.

ثانياً- إنها عجوز وهي قبل هذا عقيم لاتلد.

ثالثاً- زوجها شيخ كبير السن أي خلاف العادة في التماس الولد.

رابعاً- أخذتها الدهشة لأن البشارة كبرى وأوانها يبدو مستحيلاً.

خامساً- ذكرها الملائكة باقتدار الله تعالى وحكمته.

(٩) الآية ٤ سورة المتحنة. (١١) الآيات ٢٤-٣٠ سورة الذاريات.

(١٠) الآية ١١٤ سورة التوبة. (١٢) الآيات ٧١-٧٣ سورة هود.

سادساً- لعلها تذكرت أن الله عز وجل كان قد جعل النار برداً على ابراهيم
عندما ألقي فيها وضرب له مثلاً في إحياء الموتى وغير ذلك ، فإن
تلد هي رغم كل الموانع الطبيعية فهذا من قبيل المعجزات التي أكرم
الله تعالى بها نبيه ابراهيم.
سابعاً- شعرت بالرضى وانعام الله الجزيل.

إخوة يوسف

يقول تعالى :«لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين .. إذ قالوا ليوسف
وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين.. اقتلوا يوسف أو
اطرحوه أرضاً يخلف لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين.. قال قائل منهم
لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين..
قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون.. أرسله معنا غداً يرتع
 ويلعب وإنا له لحافظون.. قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب
وأنتم عنه غافلون.. قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاصرون.. فلما
ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم
لا يشعرون.. وجاءوا أباهم عشاء يبكون.. قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستحق وتركنا
يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين.. وجاءوا على
قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على
ما تصفون» (١٣) .. فنفهم:

أولاً- الصلاح لا يورث من الآباء وكذلك السوء.

ثانياً- انتزاع يوسف عليه السلام وهو غلام صغير من أبويه بكيد من تدبير
إخوته يقدف به بعيداً في اغوار المجهول الرهيب يصارع اعتى
المخاطر وحده كالتهديد بالقتل والإلقاء أخيراً في البئر وحيداً ينتظر
المفاجآت المخيفة لهر امتحان لا يطيقه إنسان بهذه السن لو لم يكن
نبياً.

ثالثاً- ولو أطاق انسان منذ صغره كل هذه المحن فلا بد أن تنعكس على
وضعه النفسي ومجمل سلوكه لاحقاً بشكل غير حسن الملامح أما أن
يخرج منها سوي التكوين جيد التصرف وقور السميت فهذا ليدل

بوضوح على أن الله تعالى يعد ذلك الإنسان لأمر عظيم وهو ما حصل بالضبط ليوسف أعني الرسالة والتمكين له في الأرض.
رابعاً- بأعداد صعب شديد كهذا صنع الله تعالى رجالاً قال لنا إنهم الأنبياء وصفوة الخلق.. فعلمنا أن المراتب العليا من الفضل والشرف لدى الخالق عز وجل لا ينالها مخلوق بمجرد التمني أو اعتباطاً..!

امرأة العزيز

يقول تعالى: «وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.. ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين.. وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون.. ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين.. واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألقيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب اليم.. قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكلبت وهو من الصادقين.. فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم.. يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين.. وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين.. فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن واعتدت لهن متكاً وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت أخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشَ لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم.. قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين.. قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين.. فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم» (١٤).

رجل يؤتى جمال يوسف المذلل - «فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن» -
ويعيش منذ صغره بعيداً عن توجيه الأهل لاسيما أبويه محطياً بالإيواء والكرم في

(١٤) الآيات ٢١-٣٤ سورة يوسف.

بيت مساعد ملك مصر الذي تتهالك امرأته على اغوائه بكل فنونها فيأبى وتهدهه فيزداد امتناعاً ثم يخرج من كل هذا البلاء العنيف طاهراً يضرب به الناس المثل لهر رسول من عند الله... لأن سلوكاً بهذه السمات والأوضاع لا يستطيع صنعه نبي يابنه ولا ملك بولي عهده بل إنه ليستعصي على آباء العالم كله ولا ينفرد به إلا الحكيم الخبير الخلاق العظيم بلوغاً لمقاصد عظيمة كالتى تحققت في حياة يوسف فعلاً...
للقمان

يقول تعالى : «ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد.. وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم» (١٥) «يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير.. يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور.. ولا تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور.. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» (١٦) .. فنفهم :

أولاً- لقمان امرؤ لم نخبر أين عاش ومتى على وجه الجزم والتحديد ، المهم إنه رجل أوتي الحكمة ، فمن...؟ من الله العليم الحكيم...
ثانياً- ما أحسن اعتقاد لقمان... فملاح عقيده تبدو في هذه الكلمات.. «أن اشكر لله» «ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه» «ومن كفر فإن الله غني حميد» «إن الشرك لظلم عظيم» «يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله» «إن الله لطيف خبير» «إن الله لا يحب كل مختال فخور» ..
إنها من مفاهيم المنهج الإلهي...!

ثالثاً- إنه يحدد لابنه خصال المؤمن المراد التزامها وهي عموميات في المنهج الإلهي الأرحم : «لا تشرك بالله» «أقم الصلاة» «أمر بالمعروف» «أنه عن المنكر» «أصبر على ما أصابك» «إن ذلك من عزم الأمور» «ولا تصغر خدك للناس» «ولا تمش في الأرض مرحاً» «واقصد في

(١٥) الأيتان ١٢ و ١٣ سورة لقمان. (١٦) الآيات ١٦-١٩ سورة لقمان.

مشيك» «اغضض من صوتك».

رابعاً- إنها بضع جمل تلخص قوانين أسس رسالة في الحياة... أليس الرجل حرياً بأن يشيد به خالق الحكمة ورب الحكماء...؟

أصحاب الكهف

يقول تعالى : «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا.. إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً.. فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً.. ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً.. نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى.. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً.. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً.. وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً.. وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.. ونحسبهم أيقاظاً وهم رقود وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً.. وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورككم هذه الى المدينة فلينبظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً.. إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تغلحوا إذا ابداً.. وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً.. فيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً» (١٧) «ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعاً.. قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع» (١٨).

(١٧) الآيات ٩-٢٢ سورة الكهف. (١٨) الآيتان ٢٥ و ٢٦ سورة الكهف.

من هم...؟ إنهم فتية مؤمنون عاشوا بين قوم مشركين وقد امتازوا بقوة الإيمان واستنكار الباطل والفرار بدينهم عندما هددته قوى المحيط الاجتماعي الباغية ففضلوا الإيواء الى كهف ناء فوق الجبال على مجارة التيار المخالف لدين الله والاستسلام لقوته في تفتت إيمانهم العتيد.. ياله من مثل...!

وما أعظم ما تضمنته قصتهم من ملامح ربانية في الاعتقاد والسلوك وحسن الأمثلة كلها مما يندرج في إطار المنهج الإلهي العام مثل:
أولاً- دعاؤهم «ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً» ودعوتهم «ربنا رب السموات والأرض لن نذهب من دونه إلهاً» واستنكار الشرك «هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاة» ورفضهم الإيمان بغير علم «لولا يأتون عليهم بسطان بين» واستفظاعهم الاعتقاد المنحرف «فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً» وأمام تيار الشرك العارم لا يجدون بداً من اعتزال قوتهم «وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون» واعتبارهم الكهف على ضيقه أقسح بلإيمانهم من البقاء وسط مدينة الشرك الطاغوي المجنون ، وما أحسن ثقتهم بالله «والى فأروا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقاً» وما أجود فطنتهم إذ يوصون موفدهم الى سوق المدينة أن يلزم الحذر واللياقة عند شراء الطعام الطيب خوفاً من افتضاح أمرهم ودفعاً للوقوع في الفتنة.

ثانياً- ونجد من معايير المنهج الإلهي الثابتة : المؤمن يزداد هدى من الله ، ومن يهتدي الله فهو المهتدي ، ومن يضل لن يجد له هادياً .. فمن أخذ بأسباب الهدى مثله بآيات الله البينات فقد اهتدى ومن لم يأخذ بهذه الأسباب لامحالة يضل.. إنه قانون أطلقه ربنا في الحياة يعمل بقوة وانضباط وعدل..! من اختار الهدى ناله ومن اختار الضلال ناله ايضاً ولا يحصل العكس إطلاقاً أي أن يختار إنسان الهدى فيضل أو أن يختار الضلال فيهتدي ، إنه ظلم وما يريد ربك ظلماً للعباد..!

ثالثاً- أن ينمى الله تعالى فتية أكثر من ثلاثة قرون ثم يستيقظون وافرين وكأنهم رقدوا بضع ساعات لأمر ليس هو بأعجب من مظاهر أخرى نلمسها في الحياة هي أشد دلالة على اقتدار الله وأبلغ تعبيراً عن عجيب صنعه..!

ذو القرنين

يقول تعالى : «ويسألك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً.. إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً.. فأتبع سبباً.. حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا ياذا القرنين إنا أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً.. قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً.. وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً.. ثم أتبع سبباً.. حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً.. كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً.. ثم أتبع سبباً.. حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً.. قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً.. قال مامكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً.. أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال أتوني أفرغ عليه قطراً.. فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً.. قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً» (١٩).

يقول ابن اسحق في السيرة : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أخبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء.. فخرجوا حتى أتيا المدينة فسألا أخبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله ، وقالوا لهم : إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.. فقالوا لهما : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقول تزوا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم..؟ فإنهم كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه..؟ وسلوه عن الروح ماهي .. فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش ، فقالا : يامعشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أخبار يهود أن نسأله عن أمور... فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يامحمد أخبرنا... فسألوه عما

(١٩) الآيات ٨٢-٩٨ سورة الكهف.

أمروهم به.. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أخبركم غداً عما سألتهم عنه)- ولم يستثن (٢٠)- فانصرفوا عنه.. ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل حتى أروجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء. عما سألتاه عنه .. وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة.. ثم جاء جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح (٢١).

ونفهم عن ذي القرنين كما حكى القرآن :

أولاً- إنه رجل اعطاه الله التمكين في الأرض.

ثانياً- ساح في طول الأرض وعرضها «بلغ مطلع الشمس» و «بلغ مغرب الشمس» يصحبه عز السلطان وقوة الصنيع وبهاء العدل وسمعة الصلاح.

ثالثاً- في أقواله ملامح تعبر عن إيمانه بكليات المنهج الإلهي مثل : «من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذاباً نكراً» «وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً» «ما مكنتي فيه ربي خيراً» «هذا رحمة من ربي» «فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء» «وكان وعد ربي حقاً».

معلم موسى

يقول تعالى : «وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً.. فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً.. فلما جاوزا قال لفتهاه أتنا غداً ما لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً.. قال أرايت إذ أرينا الى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً.. قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً.. فوجدا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً.. قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً.. قال انك لن تستطيع معي صبراً.. وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً.. قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً.. قال فإن (٢٠) لم يقل : (إن شاء الله) . (٢١) (السيرة النبوية) لابن هشام المجلد الاول ص ٣٠٠-٣٠٢

اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً.. فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرأ.. قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا.. قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً.. فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً.. قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا.. قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً.. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً.. قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً.. أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا.. وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً.. فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً.. وأما الجدار فكان لغلामين يتييمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً» (٢٢).. فنفهم :

أولاً- يحسن الحكم على الأشياء بعد الإحاطة بها.

ثانياً- أن لا يساء الظن بما لم يحط به علماً.

ثالثاً- هناك مظاهر كثيرة لاتعبر عن حقيقة جوهرها.

رابعاً- السؤال والتعلم والإفادة ممن هو أقل شأنأ لاتقلل من المرتبة العليا..
فموسى رسول ومن أولي العزم أما معلمه فلم يكن أكثر من رجل صالح.

خامساً- جواز تفادي الخطر الأعظم باحداث تلف أقل ضرراً.

سادساً- طفل صغير يقتل.. لا يجوز الظن أنه عبث أو التساؤل باستنكار عن الحكمة وراء ذلك وإنما اللاتق بالعاقل الصالح أن يرد هذا الأمر الى خالق الطفل ومدبر شأنه فهو سبحانه «لا يسأل عما يفعل» (٢٣).

سابعاً- إذا عومل المؤمن بجفاء ينبغي أن لا يتأثر بذلك استمسাকে بالمنهج الالهي ومقتضياته حتى لو تطلب الأمر الاحسان للجفاة.

(٢٢) الآيات ٦٠-٨٢ سورة الكهف.

(٢٣) الآية ٢٣ سورة الانبياء.

ثامناً- موسى ومعلمه لم يتفاهما في إطار التوراة ولا في إطار شيء اسمه
المعقول وغير ذلك وإنما في إطار كليات المنهج الالهي الواحد بشموله
الأوسع التي أخذ يتقبلها موسى ، فلكونه رسولاً من عند الله هو
إذن عارف بمصدرها .

تاسعاً- العمل بصمت وبلا ضجيج وبلا منة هو سمة المؤمن الموصول القلب
بخالقه عز وجل .

ورد في صحيح البخاري نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن العبد
الصالح الذي لقيه موسى وتعلم منه يسمى الخضر .
فرعون

يقول تعالى : «ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملأه بآياتنا
فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين.. فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر
مبين.. قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون.. قالوا
أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن
لكما بمؤمنين.. وقال فرعون أئتوني بكل ساحر عليم.. فلما جاء السحرة قال لهم
موسى ألقوا ما أنتم ملقون.. فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله
سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين.. ويحق الله الحق بكلماته ولو كره
المجرمون.. فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن
يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين.. وقال موسى يا قوم إن كنتم
أمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين.. فقالوا على الله توكلنا ربنا لا نجعلنا
فتنة للقوم الظالمين.. ولجنا برحمتك من القوم الكافرين.. وأوحينا الى موسى
وأخيه أن تهاجرا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتركم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر
المؤمنين.. وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا
ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الأليم.. قال قد أجيبيت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون.. وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً
حتى إذا أدركه الفرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من
المسلمين.. الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين.. فاليوم ننجيك ببدنك لتكون

لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون» (٢٤) .. فننهم :

أولاً- المنهج الإلهي الواحد يلقى تهماً متشابهة من النفس الإنسانية ذات الخصائص الثابتة عندما تنحرف.. فالمجرمون الفراعنة اعتبروا الحق الذي حمله اليهم موسى وهارون سحراً ومجرمو قريش وصفوا القرآن بالسحر أيضاً «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإننا به كافرون» (٢٥).
ثانياً- فرعون وقومه اعتزوا بتراث آبائهم الضالين ومشركو العرب واجهوا رسول الله محمداً باعتزاز مماثل «وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون» (٢٦).

ثالثاً- «الله لا يصلح عمل المفسدين» إحدى ثوابت المنهج الإلهي الواحد لا تفرق بين قوم مفسدين في أول الخليقة وأمثالهم في آخرها.
رابعاً- تعهد الله بنصر الحق دائماً ولو كره المجرمون.
خامساً- فرعون متكبر في الأرض مسرف وهذه سيما كارهي الحق المعادين للمنهج الإلهي مهما تباعد الزمان واختلفت البقاع.
سادساً- موسى يعتبر الإيمان بالله إسلاماً ، وهو السمة الكبرى للمنهج الإلهي كله إذ أن الاسلام عنوانه.
سابعاً- قسم الله الطغيان في خاتمة المطاف مهلكاً فرعون حاكم مصر وأشباعه وناصراً موسى وقومه.. وهكذا يمضي الوعد الإلهي ، إهمال للكافرين بلا إهمال وأخذهم في النهاية بعقاب شديد.

هامان

يقول تعالى : «وتمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون» (٢٧) «ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين» (٢٨) «وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب» (٢٩) «إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين» (٣٠).

(٢٤) الآيات ٧٥-٩٢ سورة يونس. (٢٨) الآية ٣٩ سورة العنكبوت.

(٢٥) الآية ٣٠ سورة الزخرف. (٢٩) الآية ٣٦ سورة غافر.

(٢٦) الآية ١٠٤ سورة المائدة. (٣٠) الآية ٨ سورة القصص.

(٢٧) الآية ٦ سورة القصص.

من هو هامان...؟

إنه وزير فرعون حاكم مصر أيام موسى ومن أقوى اعوانه.. يشترك مع فرعون بصفة الإستكبار في الأرض ، ويتابع سيده في رفض البيئات التي قدمها الرسول كما هي عادة الأذنان إذ هم على دين ملوكهم بلا تفكير ودون إرادة ، وهذا أمر ملموس بكثرة ووضوح في قصور الحكام المبطلين..

فرعون طلب من وزيره هامان أن يبني له قصرًا شامخ القمة ، لماذا...؟ أخبر الشعب بأنه يريد الاطلاع من فوقه على إله موسى .. إنه حاكم طاغية سفاح يعتقد أن كل ما يقوله يحمل على التصديق لأن احداً لا يجرؤ على تكذيبه وهكذا هم الطغاة..

ولما نفذ هامان ما أمر به وأحجز البناء (صعد فرعون الى سطح القصر وصوب سهماً قد غمس بالدم الى السماء فعاد اليه النصل بعد لحظات فقال لمن حوله : لقد قتلت إله موسى..)(٣١).

وهكذا هي الأعياب الطغاة وأعوانهم يستخفون بعقول الناس طالما أن الأكثرية ترهبهم والحاشية تنفذ كل ما يطلبون وتحمل المحكومين على التصديق والخضوع وأنوافهم راغمة..؟

بتلك السهولة (قتل) فرعون إله موسى..

وهكذا (صار) فرعون الاله الأوحى بلا منازع..

ومن لا يصدق فليرفع صوته بالتكبر إن امتلك الجرأة ليرى ما ينتظره من

مضير مرعب على يد الجلادين أتباع فرعون الخلقاء أمثال الوزير هامان..

امرأة فرعون

يقول تعالى : «وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن

لي عندك بيتاً في الجنة ولجني من فرعون وعمله ولجني من القوم الظالمين» (٣٢)

«وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولداً وهم لا يشعرون» (٣٣).

أولاً- زوجة فرعون مؤمنة ، وهي مثل للناس في إيمانها..

ثانياً- زوجها ملك وهو أسوأ طاغية ولكن هذا الوضع كله لم يمنع إيمانها بالله

تعالى العميق النقي الشديد الذي تصوره دعوتها أن ينجيها العلي

(٣١) (مع الاتبياء في القرآن) ص ٢٢٩ . (٣٣) الآية ٩ سورة القصص.

(٣٢) الآية ١١ سورة التحريم.

القدير من شرور زوجها وقومه الظالمين وسوء عملهم وأن يجعل مكافأتها الجنة..١٠

ثالثاً- والشهادة على صلاحها تتمثل حين أحضر رجال فرعون صندوقاً بداخله رضيع ألقاه اليم على الساحل قرب القصر فما أن أحست أن هذا الطفل سيذبح تنفيذاً للأمر الفرعوني تدخلت ملتزمة من زوجها استثناءً من القتل والسماح باتخاذ ربيباً ففعل..١٠

رابعاً- حرصت على تخليص الطفل - وهو موسى عليه السلام - من الذبح رغم أن زوجها مهدد بزوال ملكه على يد رجل اسرائيلي ولد في تلك الفترة كما زعم الكهنة.

قارون

يقول تعالى: «إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين.. وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين.. قال : إنما أوتيته على علم عندي ، أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم.. وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون.. فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين.. وأصبح الذين تمناوا مكانه بالأمس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون» (٣٤).. فنفهم :

أولاً- قارون أوتي كثرة في المال فبغى وبطر وفرح بما هو عليه وكان هذا التمكين دائم والغنى لا يزول والإنسان لا يغادر الدنيا..١٠

ثانياً- نجد قيماً جليلة القدر يدعو إليها المنهج الإلهي برمتيه في كل نبوة وزمان منها : «ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة» «ولا تنس نصيبك من الدنيا» «أحسن كما أحسن الله اليك» «لا تبغ الفساد في

الأرض» «إن الله لا يحب المفسدين» «ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً» «لا يلقاها إلا الصابرون» «الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر» «لا يفلح الكافرون» «الدار الآخرة لمجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً» «العاقبة للمتقين».

ثالثاً- معطيات الانحراف البشري الناجم عن الثراء الواسع وسوء استخدامه لاتتغير على اختلاف الأزمنة والمجتمعات مثل : مجافاة قيم المنهج الالهي والعدوان والفرح بقوة المال وادعاء حصول الثروة بعلم حائزها وجهده وليس رزقاً من عند الله وتناسي الهلاك الذي أصاب من هو أشد قوة وأكثر جمعاً ، والتبخر في الزينة تكبراً على الناس.

رابعاً- تحقق الوعيد الإلهي بأخذ المنحرفين الطفافة بشكل رهيب «فخسفنا به وبداره الأرض» «فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله» «وما كان من المنتصرين».

خامساً- القرآن يعرض قيم المنهج الالهي العامة التي عمل بها في الأطوار السابقة مادام هو يمثل حالة اكتمال الدين المراد العمل به الى آخر الزمان فوق الأرض..!

طالوت وجالوت

يقول تعالى :- «ألم تر الى الملاء من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين.. وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم.. وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيته مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين.. فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشرب منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملائكة الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة

بإذن الله والله مع الصاهرين.. ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرين.. فهزمهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء. ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين» (٣٥).. فنفهم:

أولاً- أحد أنبياء بني اسرائيل بعد موسى جاءه كبراًؤهم طالبين منه أن يسمي لهم ملكاً يقاتلون تحت قيادته «في سبيل الله» فأخبرهم بأن الله اختار طالوت.

ثانياً- لم يكن طالوت من سلالة الملوك ولم يكن صاحب ثروة مما جعلهم يستنكرون اختياره ولكن الله تعالى اختاره هو وزاده اقتداراً في العلم وتميزاً في الجسم فهو سبحانه «يؤتي ملكه من يشاء» لا أحد يقترح عليه وإن «الله واسع عليم» واسع الفضل عليم بمظانه.

ثالثاً- وأخبرهم النبي أن دلالة صدق اختيار الله لطالوت هو تاهوت بأتهم فيه مخلفات مما ترك موسى وهارون عليهما السلام محمولاً من قبل الملائكة فتفيض على قلوبهم السكينة.

رابعاً- إن قول المؤمنين «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله» هو من الحقائق العامة في المنهج الإلهي الواحد.

خامساً- صدق الوعد الرباني بانتصار المؤمنين ذوي الصبر والثبات والإخلاص على ظالمهم الكافرين ولو كان العتاة متفوقين بالعدد والسلاح.

سادساً- جالوت رجل فلسطيني عملاق مهيب المنظر مدجج بالسلاح ومعه جنود كثيرون قيل إنه ظل أربعين يوماً يتحدى جيش طالوت بالمنازلة فكانوا يحجمون.. وأخيراً اندفع اليه فتى صغير من وراء الصفوف اسمه داود يعمل بيده مقلاعاً وخمس حجارات ملساً عاجله باحداها على جبهته فخر ساقطاً على الأرض يتلوى فوثب عليه الفتى حيث انتزع منه السيف وقطع رأسه (٣٦).

سابعاً- في معرض نصر المؤمنين واندحار الكافرين ترد إحدى الحكم الكلية في تدبير شؤون الحياة «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض».

(٣٥) الآيات ٢٤٦-٢٥١ سورة البقرة. (٣٦) ينظر (مع الانبياء في القرآن) ص ٢٧٧.

ثامناً- كليات المنهج الالهي وأساسيات تدبير الكون وتفاصيل التاريخ
البعيد تتمازج وتساق متلازمة بتلخيص أخاذ في بضع آيات يلقيها
على الناس رجل أُمي عليه أفضل الصلاة والسلام.. أي غيب عظيم
هنا..؟

عزير

يقول تعالى :«وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ! أنى
يؤفكون» (٣٧).. من هو العزير..؟

إنه كاهن يهودي وكاتب توراتي شهير عاش بعد موسى أثناء فترة السبي
حيث سكن بابل ومن بعد انتقل الى (أورشليم).. وفي كتب اليهود المدونة سفر
يسمى (عزرا) - هو نفسه العزير - وصف فيه بأنه كاتب ماهر وجه قلبه لالتماس
شريعة الرب..!

الله تعالى يشير الى عزير في القرآن الكريم دامغاً اليهود بأنهم كفروا
بالوحدانية وأصبح شأنهم لا يختلف عن الكفرة الوثنيين..! فالقرآن وهو حالة احتمال
المنهج الالهي الواحد عندما يتناول أشياء سابقة ومنها موضوع عزير إنما هو يحاكمها
وفق أساسيات هذا المنهج التي لا تختلف منذ آدم عليه السلام والى خاتم الأنبياء
صلى الله عليه وسلم.

وبالها من رصانة! وبالها من حجة! وبالها من إدانة..!

مريم

يقول تعالى :«إذ قالت امرأة عمران ربّ إنني نذرت لك مافي بطني محرراً
فتقبل مني إنك أنت السميع العليم.. فلما وضعتها قالت ربّ إنني وضعتها أنثى
والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنني سميتها مريم وإنني أعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم.. فتقبلها ربهما بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها
زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت
هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب» (٣٨) «ذلك من أنباء الغيب
نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ
يختصمون» (٣٩) «وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرتك واصطفاك على

(٣٧) الآية ٣٠ سورة التوبة. (٣٩) الآية ٤٤ سورة آل عمران.

(٣٨) الآيات ٣٥-٣٧ سورة آل عمران.

نساء العالمين.. يامرهم اقتني لريك واسجدي واركعي مع الراكعين.. إذ قالت الملائكة يامرهم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين.. ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين.. قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون^(٤٠) «واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً.. فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً.. قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً.. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً.. قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسنني بشر ولم أك بغياً.. قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعل له آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً^(٤١) «والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين^(٤٢) «وإن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون^(٤٣) «فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً.. فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتني متٌ قبل هذا وكنت نسياً منسياً.. فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريباً.. وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً.. فكلتي واشربي وقرري عينا فلما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً.. فأنت به قومها تحمله قالوا يامرهم لقد جئت شيئاً غرباً.. ياأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً.. فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً.. قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً.. وجعلني مهابداً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادم حياً.. وبرأ بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً.. والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً.. ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون.. ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه^(٤٤).. فنفهم:

أولاً- القرآن وهو يقص علينا ما حدث في التاريخ البعيد يعرض الحقائق من منظور المنهج الالهي العام غير أنه لما غطى هذه الحقائق من أترية أهالها الناس عليها بمرور الزمن نتيجة الجهل تارة وسوء الفعل أخرى. ثانياً- بل إن الله تعالى أراد أن يزيح الركام عن تلك الحقائق لكي ينصفها

(٤٠) الآيات ٤٢-٤٣ و ٤٥-٤٧ سورة آل عمران. (٤٢) الآية ٩١ سورة الانبياء.

(٤١) الآيات ١٦-٢١ سورة مريم. (٤٣) الآية ٥٩ سورة آل عمران.

(٤٤) الآيات ٢٢-٣٥ سورة مريم.

الناس ويحذروا التلاعب بها وحتى يلتزم المؤمنون بعد ذلك الطريقة المثلى عند تعاملهم معها خاصة أن المنهج الالهي قد اكتمل بخاتم الرسالات الاسلام المعمول به الى يوم القيامة.

ثالثاً- وفي هذا الإطار نلتقط في قصة مريم جملة من مفاهيم المنهج الالهي الثابتة منها : (الله هو السميع العليم) و (التوجه بالدعاء يكون له عز وجل) و (العبد الصالح يرضى بمشيئة الرب) و (المؤمن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم) و (الصالحون يلهمهم الله الدعاء المستجاب) و (يخلق الله ما يشاء) و (يقول للشيء كن فإذا هو كائن) و (الله يرزق من يشاء بغير حساب) و (المؤمن ينسب الفضل الى الله تعبيراً عن شكرانه وإرشاداً للآخرين) و (الله يقول الحق).

رابعاً- الله تعالى شاء أن يصطفي مريم لحدث عظيم وهو ولادة إنسان بغير أب لتكون هي وابنها آية للعالمين.. فهو سبحانه قادر على فعل ما يريد ، وهذا الأمر ليس هو بأعجب من خلق آدم الإنسان الأول من تراب وخلق حواء من ضلعه وخلق ذريتهما بالتناسل.. وهكذا تكتمل بولادة عيسى عليه السلام أربع حالات للاقتدار الإلهي على الخلق ، أي خلق آدم بلا أب وأم وخلق حواء من ذكر فقط دون أم وخلق ذريتهما من ذكر وأنثى وخلق السيد المسيح من أم بلا أب..!!^(٤٥).

أمم سابقة

قوم نوح

يقول تعالى : «ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون»^(١) «قال يا قوم اني لكم نذير مبين.. أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون.. يغفر لكم من ذنوبكم. ويؤخركم الى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون»^(٢) «قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين.. قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين.. أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون.. أوعجبتكم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون»^(٣) «فقال الملأ الذين كفروا من قومه

(٤٥) سبق أن تحدثنا عن اصطفاء الله تعالى للسيدة مريم في موضوع (الوحي لبشر صالحين).

(١) الآية ١٤ سورة العنكبوت (٢) الآيات ٢-٤ سورة نوح (٣) الآيات ٦٠-٦٣ سورة الاعراف.

ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين»^(٤) وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن وداً ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسراً.. وقد اضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً»^(٥) وقال ياقوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون.. ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملائكة ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون.. ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون.. ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزددني أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين.. قالوا يانوح قد جدالنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.. قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين.. ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن انصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون»^(٦) وقال ربي إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً.. فلم يزد هم دعائي إلا فراراً.. وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً.. ثم إني دعوتهم جهاراً.. ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً.. فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً.. يرسل السماء عليكم مدراراً.. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً.. ما لكم لا ترجعون لله وقاراً.. وقد خلقكم أطواراً.. ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً.. وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً.. والله أنبتكم من الأرض نباتاً.. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً.. والله جعل لكم الأرض بساطاً.. لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً»^(٧) وقالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين»^(٨) «يا قوم إن كان كبير عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون.. فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين»^(٩) «فكذبوا عدنا وقالوا مهنون وازدجر»^(١٠) «قال رب إن قومي

(٤) الآية ٢٧ سورة هود.

(٥) الأيتان ٢٣ و ٢٤ سورة نوح.

(٦) الآيات ٢٨-٣٤ سورة هود.

(٧) الآيات ٥-٢٠ سورة نوح.

(٨) الآية ١١٦ سورة الشعراء.

(٩) الأيتان ٧١ و ٧٢ سورة يونس.

(١٠) الآية ٩ سورة القمر.

كذّوبون.. فافتح بيني وبينهم فتحاً ولجني ومن معي من المؤمنين» (١١) «وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً.. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً» (١٢) «وأوحى الى نوح إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبهتمس بما كانوا يفعلون.. واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون.. ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملاً من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون.. فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.. حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل.. وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم» (١٣).

ماهي دعوة نوح بخطوطها العامة ..؟

أولاً- الله أعلم بالغيّب ويده الأمر كله.

ثانياً- الإسلام لله.

ثالثاً- عبادة الرب الأحد.

رابعاً- التوكل على الله.

خامساً- تقوى الله وطاعة رسوله.

سادساً- التخويف من عذاب الآخرة.

سابعاً- التذكير بآيات الله.

ثامناً- الوعد بالمغفرة.

تاسعاً- التيشير بالرحمة.

عاشراً- نصيح بلا أجرة.

ماذا كانت ردود الكفرة..؟ قالوا لنبيهم إنك بشر مثلنا ولم يتبعك إلا الفقراء الأدنون والضعفاء وإنكم كاذبون وإنا لنراك في ضلال مبين ثم إنك مجنون فأتنا بوعيدك إن كنت صادقاً ، وكلما دعاهم جعلوا أصابعهم في آذانهم وراحوا يتنهرونه بالشتم والضرب والتهديد بالرجم وهم لا يرجسون لله وقاراً ضائقين بنبيهم ذرعاً.

ومن تأمل ردود مشركي مكة لوجدوا تطابق مع ردود أولئك الكفرة الأوغاد الذين عاشوا قبلهم بالآلاف السنين الأمر الذي يدل بوضوح على أن الإعراض

(١١) الأيتان ١١٧ و ١١٨ سورة الشعراء. (١٣) الآيات ٣٦-٤١ سورة هود.

(١٢) الأيتان ٢٦ و ٢٧ سورة نوح.

البشري عن المنهج الإلهي الواحد يعود بمقولاته المتشابهة الى أن خصائص الإنسان الأساسية لا تتغير بطول الزمان واختلاف المكان.

وهنا تبرز أمامنا بشموخ عظمة هذا المنهج الذي يحيط بالكائن البشري منذ أوائل الخليقة وإلى آخر مخلوق على الأرض ، أوليس هو منهج الخالق...؟

فطر الله الإنسان في عيشه بشم الهواء ويشرب الماء ويأكل الثمار وسوى ذلك.. فهل أن هذا المخلوق استغنى عن الهواء مثلاً بمادة أخرى...؟ إنه لو فعل لمات... وكذلك هو يموت إذا استغنى عن المنهج الإلهي ، وباله من موت... إنه خسران الوجود في الدنيا والآخرة...!

ولم يتخلف الوعيد الإلهي عن القوم الكافرين...!

هـ

يقول تعالى : «واذكر آخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم» (١٤) «قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين.. قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين.. أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين.. أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون» (١٥) «أتبنون بكل ريع آية تعبثون.. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون.. وإذا بطشتم بطشتم جبارين.. فاتقوا الله وأطيعون.. واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون.. أمدكم بأنعام وبنين.. وجنات وعيون» (١٦) «قالوا أجبتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.. قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين» (١٧) «قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلہتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين.. إن نقول إلا اعتراك بعض آلہتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون.. من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون.. إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم.. فإن تولوا فقد أبلغتكم ما

(١٤) الآية ٢١ سورة الاحقاف. (١٦) الآيات ١٢٨-١٣٤ سورة الشعراء.

(١٥) الآيات ٦٦-٦٩ سورة الاعراف. (١٧) الآيات ٧٠ و ٧١ سورة الاعراف.

أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً إن ربي على كل شيء حفيظ.. ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ» (١٨) «وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية.. سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية.. فهل ترى لهم من باقية» (١٩).

ماهي دعوة هود بخطوطها العامة .. ؟

أولاً- الله رب الخلائق.

ثانياً- الله على كل شيء حفيظ.

ثالثاً- الله على صراط مستقيم.

رابعاً- عبادة الخالق الواحد.

خامساً- التوكل على الله.

سادساً- تقوى الله وطاعة رسوله.

سابعاً- الخوف من عقاب الآخرة.

ثامناً- النصيح بأمانة.

تاسعاً- شكر الله المنعم على فضله الواسع.

بماذا أجابوه .. ؟ رموا نبيهم بالسفاهة والكذب واستغفروا أن تأتي الرسالة على رجل منهم ، ورفضوا عبادة الله وحده متمسكين بما عبد آباؤهم وقائلاً إئتنا بالوعيد الذي تخوفنا به إنك لم تأتنا بآية فلا نترك آلهتنا ولا نؤمن لك ونعتقد أنه قد مسك بعض آلهتنا بسوء..!

ولم يتخلف الوعيد الإلهي عن القوم المجرمين..!

ثمود

يقول تعالى : «والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب» (٢٠) «كذبت ثمود المرسلين.. إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون.. إني لكم رسول أمين.. فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين.. أتركون في ما ههنا آمنين.. في جنات وعيون.. وزروع ونخل طلعها

(١٨) الآيات ٥٣-٥٨ سورة هود. (٢٠) الآية ٦١ سورة هود.

(١٩) الآيات ٦-٨ سورة الحاقة.

هضم.. وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين.. فاتقوا الله وأطيعون.. ولا تطيعوا أمر المسرفين.. الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.. قالوا إنما أنت من المسحرين.. ما أنت إلا بشر مثلنا فاتِ بآية إن كنت من الصادقين.. قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم.. ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم» (٢١) «إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر.. ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر» (٢٢) «قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون.. قالوا أطيننا بك وعين معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون» (٢٣) «قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربنا قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون.. قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون.. فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح إئتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين» (٢٤) «وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون.. قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون.. ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون.. فانظر كيف كان عاقبة مكرم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين.. فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون» (٢٥) «إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر» (٢٦).

ماهي دعوة صالح بخطوطها العامة ؟..

أولاً- الاعتقاد بأن الله قريب مجيب.

ثانياً- أفراد الإله الأحد بالعبادة .

ثالثاً- تقوى الله وطاعة رسوله.

رابعاً- الاستغفار والتوبة.

خامساً- الابتعاد عن الاسراف والفساد في الأرض.

سادساً- الإصلاح في الأرض.

سابعاً- تذكر آلاء الله وتقدير الشكر له.

ثامناً- الوعد برحمة المؤمنين.

(٢١) الآيات ١٤١-١٥٦ سورة الشعراء. (٢٤) الآيات ٧٥-٧٧ سورة الاعراف.

(٢٢) الآيات ٢٧ و ٢٨ سورة القمر. (٢٥) الآيات ٤٨-٥٢ سورة النمل.

(٢٣) الآيات ٤٦ و ٤٧ سورة النمل. (٢٦) الآية ٣١ سورة القمر.

تاسعاً- النصح بلا أجرة.

فبماذا واجهوا نبيهم ١٠٠؟ إنهم كذبوه وكفروا بأنعم الله وعاثوا في الأرض مفسدين وعقروا الناقة وهي لهم معجزة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا له هات وعبدك إن كنت صادقاً في ادعاء الرسالة.
ولم يتخلف الوعيد الإلهي عن القوم الظالمين..١٠

قوم ابراهيم

يقول تعالى: «ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين.. إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون.. قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين.. قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين.. قالوا أجبتنا بالحق أم أنت من اللاعبين.. قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين» (٢٧) «قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وهذا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء رينا عليك توكلتنا واليك أنبنا واليك المصير» (٢٨) «ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين» (٢٩) «وتالله لأكيذن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين.. فجعلهم جذاً إلا كبيراً لهم لعلمهم اليه يرجعون.. قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين.. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم.. قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون.. قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم.. قال بل فعله كبيرهم هذا فسالوهم إن كانوا ينطقون.. فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون.. ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.. قال افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم.. أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون.. قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين.. قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم.. وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين» (٣٠).

(٢٧) الآيات ٥١-٥٦ سورة الانبياء. (٢٩) الآية ٢٥٨ سورة البقرة.
(٢٨) الآية ٤ سورة المحتحنة. (٣٠) الآيات ٥٧-٧٠ سورة الانبياء.

ماهي دعوة إبراهيم بخطرطها العامة ..؟

أولاً- التعريف بالله تعالى .

ثانياً- تسخيف عبادة الأصنام في مجتمع وثني.

ثالثاً- فضح تفاهة نحت الحجارة باليد وتقديسها.

رابعاً- التبصير بعقيدة التوحيد الإلهي.

خامساً- اتخاذ العقيدة عن علم ووعي ودليل.

سادساً- التحذير من متابعة الشيطان.

سابعاً- اتباع الرسول يضع الإنسان على الصراط السوي.

ثامناً- التخويف من عذاب الآخرة.

تاسعاً- الوعد بالمغفرة.

عاشراً- التهديد باعتزال الوثنيين إذا لم يهتدوا.

حادي عشر- استعمال القوة في تحطيم الأوثان.

ثاني عشر- استخدام الحجج القوية في أداء الرسالة .

ثالث عشر- التعرض لأشد الإيذاء لأجل الإله الواحد.

فماذا كان ردهم على ابراهيم..؟ قالوا له إتنا نتبع ما كان يعبد آباؤنا ونحن لا ندري أجبثنا بالحق أم كنت لاعباً ثم ألقوا به وسط النار ليحترق عقاباً له على تحطيم الأوثان فخرج منها بإذن الله سليماً معافى لأن الخالق الذي جعل في النار خاصية المحرق وجعل في الجسم خاصية الاحتراق قادر على تعطيل هذا القانون بعض الوقت لحكمة يريد بها عز وجل..! وعندئذ ترك ابراهيم الإقامة في ديار القوم الضالين كما أوعدهم من قبل.

قوم لوط

يقول تعالى :«كذبت قوم لوط المرسلين.. إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون.. إني لكم رسول أمين.. فاتقوا الله وأطيعون.. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين.. أتأتون الذكور من العالمين.. وتلدون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون.. قالوا لئن لم تنته بالوط لتكونن من المخرجين.. قال إني لعملكم من القالين.. رب نجني وأهلي مما يعملون» (٣١) «ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين.. أننكم لتأتون

(٣١) الآيات ١٦٠-١٦٩ سورة الشعراء..

الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في نادبكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا
 إئتتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين» (٣٢) «ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم
 وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب.. وجاء قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا
 يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخرجوهن في
 ضيفي أليس منكم رجل رشيد.. قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك
 لتعلم ما نريد.. قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد.. قالوا بالوط إنا
 رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا
 امرأتك إنه مصيبتها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟.. فلما جاء
 أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود.. مسومة عند
 ربك وماهي من الظالمين بعبيد» (٣٣).

ماهي دعوة لوط بخطوطها العامة ..؟

أولاً- تقوى الله وطاعة رسوله.

ثانياً- النصح بلا أجرة.

ثالثاً- عند الله حسن الجزاء.

رابعاً- التحذير من عذاب الله.

خامساً- استنكار الفواحش ومقت متعاطيها.

سادساً- تفضيع اتيان الرجال شهوة دون النساء.

ماذا كان ردهم..؟ قالوا له إن لم تكف عن استنكار سلوكنا نخرجك من
 ديارنا وإذا كنت صادقاً في وعيدك فجننا بعذاب الله ، وقد حاولوا ارتكاب الفاحشة
 مع ضيوف زاروه حسان الوجوه هم الملائكة المرسلون لإهلاك قرية لوط باستثناء هذا
 النبي ونفر صالحين معه فتوسل إليهم عند باب النار أن لا يخزوه بفعلتهم الأثيمة
 مع الضيوف فأبوا ، وعندئذ قام الملائكة إليهم فطمسوا أعينهم وأخبروا مضيفهم
 بحقيقة ما كلفوا به طالبين منه أن يغادر القرية في الليل.. أما هم فقد نفذوا
 الوعيد الإلهي بمعاقبة المفسدين..!

أهل مدين

يقول تعالى :«والى مدين أخاهم شعبياً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله
 غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم
 (٣٢) الأيمان ٢٨ و ٢٩ سورة العنكبوت. (٣٣) الأيات ٧٧-٨٣ سورة هود.

محيط.. وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين.. بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ» (٢٤) «ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وبغونها عوجاً واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين.. وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين» (٢٥) «قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لآنت الحليم الرشيد.. قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي وزدني منه رزقاً حسناً ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.. وياقوم لا يجز منكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد.. واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود» (٢٦) «قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريبتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين.. قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين» (٢٧) «قالوا يا شعيب مانفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز.. قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذقوه وراءكم ظهرياً إن ربي بما تعملون محيط.. وياقوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب.. ولما جاء أمرنا لحجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصبحة فأصبحوا في ديارهم جائعين.. كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود» (٢٨).

ماهي دعوة شعيب في مدين بخطوطها العامة ؟

أولاً- أن يعبد الإله الأحد.

ثانياً- الكيل والميزان بالعدل والإنصاف.

(٣٤) الآيات ٨٤-٨٦ سورة هود. (٣٧) الآيات ٨٨ و ٨٩ سورة الاعراف.

(٣٥) الآيات ٨٦ و ٨٧ سورة الاعراف. (٣٨) الآيات ٩١-٩٥ سورة هود.

(٣٦) الآيات ٨٧-٩٠ سورة هود.

- ثالثاً- حسن تقويم أشياء الناس.
 رابعاً- محاشي الإفساد في الأرض.
 خامساً- الحلال خير للمؤمن في الدنيا والآخرة.
 سادساً- التذكير بنعم الله على هؤلاء القوم.
 سابعاً- تحبيب التمسك بمنهج الله القويم.
 ثامناً- التخويف من عاقبة الفساد.
 تاسعاً- الإصلاح العام في الحياة والمجتمع.
 عاشراً- على الله التوكل ومنه التوفيق.
 حادي عشر- الحذر من عقاب كالذي أصاب الأسلاف.
 ثاني عشر- الاستغفار والتوبة .

فما هو ردهم...؟ الاستخفاف بنبیهم جهالة مفاخرين بما عبد آبائهم والتصرف بالأموال دون مراعاة للحلال والحرام ، وقد هددوه بالخراج من القرية إن لم يعد في ملتهم مدعين عدم فقه الكثير مما يقوله هذا الرسول الكريم وبأنه ضعيف بينهم لولا احترامهم لعشيرته متناسين حمى الله العزيز الذي اتخذوه وراءهم ظهيراً.
 ولم يتخلف الوعيد الإلهي عن القوم الفاسقين...!

أصحاب الأيكة

بعد أن أهلك الله تعالى أهل مدين ونجا رسوله شعبياً والذين آمنوا معه توجهوا الى بقاء خصبة فيها أشجار كثيرة وماء متدفق يقيم فيها أناس كانوا على طريقة أهل مدين جيرانهم في اقتراف المعاصي.
 يقول تعالى: «كذب أصحاب الأيكة المرسلين.. إذ قال لهم شعيب ألا تتقون.. إني لكم رسول أمين.. فاتقوا الله وأطيعون.. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين.. أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين.. وزنوا بالقسطاس المستقيم.. ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين.. واتقوا الذي خلقكم والجيله الأولين.. قالوا إنما أنت من المسحرين.. وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين.. فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين.. قال ربي أعلم بما تعملون.. فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم» (٣٩).

(٣٩) الآيات ١٧٦-١٨٩ سورة الشعراء..

فما ملامح دعوة شعيب لأهل الأيكة بخطوطها العامة .. ؟

أولاً- خشية الخالق وطاعة الرسول.

ثانياً- وفاء الكيل والوزن بالعدل.

ثالثاً- حسن تقويم أشياء الناس.

رابعاً- النهي عن الإفساد في الأرض.

خامساً- الاعتاظ بما حصل للأولين.

سادساً- عند الله حسن الجزاء.

سابعاً- النصح بلا أجرة.

فماذا أجابوه ؟ قالوا له إنك شخص مسحور ، ثم إنك بشر مثلنا ، ورموه

بالكذب طالبين منه أن يسقط عليهم قطعاً من السماء إن هو كان صادقاً بالفعل.

فلم يتخلف الوعيد الإلهي عن العتاة المكذبين..!

مملكة سبأ

يقول تعالى : «وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين..

لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين.. فمكث غير بعيد فقال

أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين.. إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت

من كل شيء ولها عرش عظيم.. وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله

وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون.. ألا يسجدوا لله

الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون.. الله لا إله

إلا هو رب العرش العظيم.. قال سنتظر أصدقت أم كنت من الكاذبين.. اذهب

بكتابي هذا فآلقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون.. قالت يا أيها الملأ إني

ألقي اليّ كتاب كريم.. إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلو عليّ

وأتوني مسلمين.. قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى

تشهدون.. قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا

تأمرين.. قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك

يفعلون.. وإني مرسله اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون.. فلما جاء سليمان قال

أعذوني بما لآتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون.. ارجع اليهم

فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون.. قال يا أيها الملأ

أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين.. قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين.. قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم.. قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون.. فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين.. وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين.. قيل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت ربي إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين» (٤٠) .. فنفهم :

أولاً- سليمان يعرف كلام المخلوقات الأخرى كالطير والجن مثلاً.

ثانياً- وهب الله هذا الرسول ملكاً لا يتسنى لإنسان آخر.

ثالثاً- سبأ ملكة عظمى يمانية حكمتها امرأة.

رابعاً- السهيون عبدوا الشمس بدل الله.

خامساً- زين لهم الشيطان سوء اعمالهم.

سادساً- أحضر سليمان عرش الملكة قبل قدومها اليه.

سابعاً- أيقنت بنبوة سليمان لمعجزتي الهدد والعرش.

ثامناً- اعلنت إسلامها لرب العالمين.

أصحاب الليل

إنهم أحباش نصارى استولوا على اليمن فبنى أميرهم إبرهة كنيسة في صنعاء أراد أن يجتذب إليها العرب ويصرفهم عن زيارة بيت الله الحرام في مكة.. فقاد جيشاً بعد أن أكمل بناء (القليس) بكل أسباب الفخامة معتمراً هدم الكعبة.. ١٠

وبعد أن تسامع العرب بهذا الأمر وصل الأحباش الى مكة مصطحبين فيلة في مقدمتها فيل عظيم ذو شهرة عندهم حتى يمكن إنجاز المهمة بنجاح وبأقصر وقت وبشكل رهيب.. ١٠

فلم يستطع أحد الحيلولة دون هؤلاء الغزاة الأثمين ، فماذا حدث..؟ هنا يتجلى التدخل الإلهي واضحاً :

(٤٠) الآيات ٢٠-٤٤ سورة النمل.

أولاً- كان الفيل إذا وجه نحو الكعبة يبرك وكأنه حجر ثقيل - رغم طول التدريب السابق - ولكنه عند توجيهه الى ناحية أخرى كان يجري مسرعاً..١٠
ثانياً- جاءت مجاميع من الطير تحمل حجارة مطينة تنقض بها على الرجل الحبشي فتجعله كورق الشجر المتفتت فيخرب صريعاً في الحال أو يظل يعاني ثم يهلك..١٠

ثالثاً- كانت هذه الطيور لا تصيب بأذى رجال مكة المتفرجين فوق الجبال المحيطة بفناء الكعبة رغم أنهم كانوا أقرب الى متناولها من الاحباش البعيدين في قعر الوادي..١٠

يقول تعالى :« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل .. ألم يجعل كيدهم في تضليل .. وأرسل عليهم طيراً أبابيل.. ترميهم بحجارة من سجيل.. فجعلهم كعصف مأكول» (٤١).. نزلت هذه الآيات وفي مكة شهود عيان لموضوعها ، لأن واقعة الفيل حدثت قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة..١٠
بلدان قديمة

مكة

يبتدئ تاريخ مكة الزاهي منذ أن قدم اليها خليل الرحمان ابراهيم مع زوجته هاجر وطفلهما اسماعيل ليسكنتهما استجابة لوحي الله في هذا المكان الموحش الخالي من الماء والزرع والسكان.

يقول تعالى :«ربنا إني اسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تأتي إليهم وارضقهم من الثمرات لعلهم يشكرو».. ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء» (١١).

استجاب ابراهيم لأمر الله ، فما الذي حصل بعد هذا الدعاء...؟ بعد أيام من رحيله تاركاً زوجته وطفلهما وحيدين في ذلك الوادي نبع ماء زمزم فاجتذب الطير اليه ، وكان قوم من قبيلة جرهم يسبرون قريباً من هذا المكان فما أن رأوا الطير تحوم حوله علموا أن تحليقها فوق ماء ، فاستغفروا ذلك لأنهم لم يعهدوا في هذا الوادي شيئاً يبيل الظلم من قبل ، ولكنهم عندما استطلعوه وجدوا الماء حقيقة ،

(٤١) سورة الفيل . (١١) الأيتان ٣٧ و ٣٨ سورة ابراهيم.

فأعربوا للسيدة هاجر عن رغبتهم في الإستيطان بجوارها فرحبت بهم ولما شب اسماعيل تزوج امرأة منهم وتعلم العربية^(٢).

ومما نلسمه بعد مضي أكثر من خمسة وثلاثين قرناً على دعاء ابراهيم :
أولاً- إن مكة لم تغدُ مصلًى فقط وإنما صار المؤمنون بالمنهج الإلهي المكتمل يتوجهون إليها في صلاتهم خمس مرات في اليوم حيث كانوا في بقاع العالم..١٠

ثانياً- إن أفئدة الناس لاتنفو الى تلك البقعة فقط وإنما يسعى المتمكن منهم في رأس العام الى إقامة الركن الخامس من المنهج الإلهي بحج البيت الذي ابتناه ابراهيم وقد يزوره المؤمن معتمراً أكثر من مرة في عمره..١٠
ثالثاً- إن مكة تحبى إليها الثمرات والأطعمة من أنحاء كثيرة.. ولقد لمست خلال مكث فيها استغرق حوالي عام وفرة واجتماع ورخص ثمار الشتاء والصيف على مدار السنة.. هذا رغم أن واديهما لما يزل غير ذي زرع ويسكنه أناس كثيرون..١٠

ولم ينقطع ابراهيم عن زيارة هاجر واسماعيل وإنما كان يقدم اليهما كلما استطاع.. وفي مرة لبث طويلاً ثم زار مكة لأمر جليل ، فقد أوحى اليه ببناء الكعبة لتكون أول بيت يقام لعبادة رب العالمين.

يقول تعالى :«جعل الله الكعبة البيت الحرام»^(٣) «وإن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين.. فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً»^(٤) ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً»^(٥) «وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم»^(٦).

آيات بينات.. اللهم نعم :

أولاً- «مقام ابراهيم» أي الحجر الذي كان يقف عليه أثناء البناء فهو لما يزل موجوداً في فناء المسجد الحرام قريباً من الكعبة ..١٠

ثانياً- «من دخله كان آمناً» إن مكة آمنة بلد في العالم وقد احتفظت بهذا التميز لزمن يزيد على الثلاثة آلاف عام..١٠

ثالثاً- «ولله على الناس حج البيت» بهذه الكلمات القليلة العدد يعظم الناس هذا

(٢) ينظر (مع الانبياء في القرآن) ص ١٢٤. (٤) الأيتان ٩٦ و ٩٧ سورة آل عمران.

(٣) الآية ٩٧ سورة المائدة. (٥) الآية ١٢٧ سورة البقرة.

البيت ويؤدي المؤمنون بالمنهج الإلهي فريضة الحج الى الآن وحتى يوم القيامة دون قوة سلطان تحملهم على ذلك أو يريق أموال يجتذبهم اليه وإنما طاعة لرب العالمين ابتغاء حسن الصنيع عنده فحسب...١

ويقول تعالى : «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس»^(٦).. ويحمل لفظ «مثابة» معنى القصد والمزارع الرجوع اليه^(٧) فكون البيت مثابة للناس أمر معروف ورجوع الكثيرين اليه حينئذ أمر شائع أما المؤمن الذي لم يزره فيتمنى أن يظفر بذلك في يوم ما قبل أن يغادر الحياة...١

بابل

يقول تعالى : «واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون»^(٨).

(يبدو أن هناك قصة معروفة عنهما - أي الملكين - وكان اليهود أو الشياطين يدعون أنهما كانا يعرفان السحر ويعلمانه الناس ويزعمان أن هذا السحر أنزل عليهما... فنفى القرآن قرية تنزيل السحر على الملكين.

ثم يبين الحقيقة وهي إن هذين الملكين كانا هناك فتنة وابتلاء للناس لحكمة مغيبة وأنهما كانا يحذران كل من يجيء اليهما طالباً أن يعلماه السحر : «وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر».. وقد كان بعض البابليين يصبر على تعلم السحر منهما على الرغم من تحذيره وتبصيره ، وعندئذ تحق الفتنة على بعض المفتونين : «فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه» وهو الأذى والشر الذي حذرهم منه الملكان ، وهنا يبادر القرآن فيقرر كلية التصور الإسلامي الأساسية وهي أنه لا يقع شيء في هذا الوجود إلا بإذن الله : «وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله»...^(٩).. فنفهم :

(٦) الآية ١٢٥ سورة البقرة. (٩) (في ظلال القرآن) المجلد الأول ص ١٢٧ يتصرف قليل.

(٧) ينظر (مع الانبياء في القرآن) ص ١٢٨.

(٨) الآية ١٠٢ سورة البقرة.

أولاً- كان السحر شائعاً في مدينة بابل.

ثانياً- فتن أهلها بتعلمه استخداماً له في الشر.

ثالثاً- أرسل الله ملكين لتحذير الناس وتبصيرهم.

رابعاً- تيار الضلال والشر كان هو الغالب في بابل.

وهناك ملامح أخرى عن بابل لمجدها في قصة ابراهيم الواردة في القرآن :
«ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين.. إذ قال لأبيه وقومه : ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون .. قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين.. قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين» (١٠).

المصادر العربية تنص على أن مولد ابراهيم كان في بابل (١١) والتاريخ يثبت إنه في الزمن الذي عاش فيه ابراهيم في العراق كانت حضارة بابل هي السائدة (١٢).
يقول ول ديورانت : (كان لأهل بابل كثير من الآلهة.. ذلك أن كل مدينة كان لها رب يحميها ، وقد كان للمقاطعات والقرى آلهة صغرى تعبدونها وتخلص لها وإن كانت تخضع رسمياً للإله الأعظم ثم قل عدد الآلهة شيئاً فشيئاً بعد أن فسرت الآلهة الصغرى بأنها صور أو صفات للآلهة الكبرى وعلى هذا النحو أصبح مردخ إله بابل كبير الآلهة البابلية» (١٣).

ونفهم أخيراً :

أولاً- كانت بابل قديماً حاضرة كبرى ولكنها محكومة بالقيم الفاسدة كالسحر وعبادة التماثيل وتعاطي الشر والأذى والانصراف عن اتباع الخير والإحسان.

ثانياً- حضارتها تقوم على غلبة الأقوياء بأي وسيلة كانت.

ثالثاً- عاش فيها ابراهيم عليه السلام راشداً وقد دعى الى الله الأحد فلم يجد استجابة فترك قومه الضالين.

رابعاً- اضمحلل كيان بابل منذ زمن سحيق لأنه مؤسس وقائم على مناهج باطلة رغم أنه كان ذا قوى مادية استطاع بها أن يبسط سلطانه على أوسع رقعة من العالم آنذاك.

(١٠) الآيات ٥١-٥٤ سورة الانبياء. (١٣) قصة الحضارة الجزء الثاني ص ٢١١.

(١١) مثلاً تاريخ الطبري الجزء الأول.

(١٢) ينظر (مع الانبياء في القرآن) ص ١٠٧.

مصر

يقول تعالى : «ونادي فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه
الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون» (١٤) «وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تهاجرا
لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين» (١٥)
«وقال الذي اشتراه من مصر لامراته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً
وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث.. فلما دخلوا على
يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين» (١٦) .. فنفهم :

أولاً- مصر ذات عطاء زراعي مرموق منذ زمن قديم.

ثانياً- أقام فيها الرسول يوسف عليه السلام منذ كان غلاماً وقد أوتي فيها
التمكين في الأرض بعد أن ارتقى سدة الحكم .

ثالثاً- دخلها الرسول يعقوب عليه السلام وعاش فيها شطراً من أواخر عمره.
رابعاً- كانت لها مملكة فاخر فرعون بإمكاناتها بفرود.

خامساً- ولد فيها موسى وهارون عليهما السلام وأوتيا الرسالة حيث نهضا
بتبليغ الحق الإلهي لفرعون ورعاياه فلم يؤمن فحطما مملكته وخلصا
من ظلمه شعبهما.

سادساً- عاش فيها الإسرائيليون أذلاء خائعين مغضوباً عليهم من الله عقاباً
على كفرهم حتى إذا آمنوا برسالة موسى وهارون أنقذهم الله من ذلك
البلاء..

(١٤) الآية ٥١ سورة الزخرف.

(١٥) الآية ٨٧ سورة يونس.

(١٦) الآيتان ٢١ ، ٩٩ سورة يوسف.

غيب مستور الأسرار الخمسة

علم الساعة

الساعة هي موعد انتهاء الحياة الدنيا ، وقد استبقى الله تعالى لديه العلم بحلولها ، فإن زعم أحد أنه عليم بموعدها بشكل معين فإنه كذاب قطعاً ولو احتج بأقوى البراهين ، فلا قول أرجح من كلام الله دليلاً..١

يقول تعالى : «يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو» (١) «يسألونك عن الساعة أيان مرساها.. فيم أنت من ذكراها.. الى ربك منتهاها» (٢) «يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله» (٣) «إن الله عنده علم الساعة» (٤).

وإخفاء هذا الموعد العظيم عن الناس يتجلى فيه التدبير الالهي الحكيم ، فحياتنا دار خداع وغرور وزوال وموت يعيش فيها الانسان فيتصرف كمن هو خالد فيها فلوح فوق رأسه شبح الموت القادم لا محالة عله يرعوي وينظر الى دنياه كما هي حياة يعقبها الممات ، وإنه يعمر الأرض فيظن أنها دائمة وقد يتمنى أن لا يهلك فيطمئن أخيرا الى أن الكوكب برمته ينتظر انقضاء أجله الموعود أيضا..١
ومثلما أن الموت مجهول الموعد حتى لا يفضل الانسان طوال عمره باستثناء أواخره كذلك الساعة تبقى مجهولة الموعد حتى لا تضل البشرية طوال عمرها وتستثنى أواخره بالصلاح.

إنزال الغيث

الله تعالى هو وحده منزل الغيث.. إنه يتعلق بأرزاق الناس جميعا ويتعلق بحاجة الحيوانات والزرع وكل متطلبات البيئة في كوكبنا..١

أمر يحتاج الى علم شمولي كامل يمتد الى الباطن مثلما يحيط بالظاهر ويحتاج الى اقتدار مطلق يصل الى جوف الصخرة الصماء في أعماق البحر ويطل أعلى طائر في صفحة السماء بل وأقصى ذرة في الفضاء ، ويحتاج الى عدل لا يملكه إلا الخالق ويحتاج الى غنى وحلم وأناة وكرم ورشاد بشكل يفرد به رب العالمين وحده..١

(٣) الآية ٦٣ سورة الاحزاب.

(١) الآية ١٨٧ سورة الاحزاب.

(٤) الآية ٣٤ سورة لقمان.

(٢) الآيات ٤٢-٤٤ سورة النازعات.

يقول تعالى : «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ» (٥) «وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ» (٦).

سمعنا بتجارب إنزال المطر المصطنع هذه الأيام في مناطق شحيحة ، وهذا أمر ربما يلتبس على البعض فيظن أنه خلاف ما قاله منزل الغيث سبحانه وتعالى ، فنقول :

أولاً- إن الله هو الذي علم الإنسان ما لم يعلم وبقدرته العظمى وحدها يتم تفاعل العناصر وتحقيق الشيء المراد.

ثانياً- إن كل شيء مخلوق بقدر دقيق محكم.. وإن إنزال المطر بشكله المصطنع في بعض المناطق أمر داخل ضمن التقدير الإلهي وتحكمه وإلا فإنه كان لا يخلو من أضرار شديدة تنعكس على البيئة في تلك المواضع على الأقل فينتشر منها الخراب.

ثالثاً- إذا قدر للإنسان إسقاط المطر المصطنع في كل أطراف الأرض في ضوء حاجة البشر والحيوانات المشاهدة والزروع المنظورة فكيف يمكنه تقدير حاجات الأحياء البعيدة عن الأنظار وتلك المطمورة تحت الثرى وسواها التي لا ترى بالعين المجردة وهي تملأ البيئة..؟

رابعاً- ومن ذا الذي يستطيع سوى الخالق علام الغيوب معرفة المقدار اللازم من ماء المطر ووقته المناسب في كل بقاع الأرض اليابسة والبحار لكي تتم وتتواصل عمليات التفاعل الكيميائي بين العناصر والأشياء الهائلة التي لاتعد ولا تحصى..؟

خامساً- وما أجمل أن ينزل المطر بلا سابق علم وتدبير من بشر فيكون مغيثاً لذوي الحاجات الكبرى الأحياء والجماد ورحمة تتلمسها المواضع الملهوفة..؟

سادساً- لقد انصرم من عمر الأرض دهر طويل والغيث ينزل بتقدير مغيب عنا فمضى كل شيء قدماً نحو أجمل حالات الازدهار.. فحتى لو تحقق شيء مماثل عن الطريق المصطنع - وهو افتراض لمستحيل - يبقى التدبير المخفي لمقدار الغيث وموعده أروع وأهيب وأقدر من ذلك المشاهد المعلوم المقدار

والموعود..؟

(٥) الآية ٣٤ سورة لقمان.

(٦) الآية ٢٨ سورة الشورى.

سابعاً- ومن عني عن كل آثار الله عز وجل في هذا الوجود فليتأمل اسقاط المطر
المصطنع وليتأمل : أيكن إغاثة الأرض كلها بالمطر اللازم المناسب لكل بقعة
آلاف السنين فتزدهر الحياة لولا خالق قادر عادل رحيم قد تولى ذلك
وأجهزه...١١

علم ما في الأرحام

يقول تعالى : «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في
الأرحام» (٧).

وإخفاء حقيقة ما في كل الأرحام لهو من التدبير الإلهي العظيم... افماذا كان
سيقع لو علم كل امرئ ما تحمل زوجته ، أو لو علمت كل امرأة ما في بطنها...؟
لاشك أن الحياة بعلم الإنسان الشامل هذا كانت ستختل منذ القديم إذ يحرص
الكثيرون على الأبناء الذكور ويتمنى بعضهم الإناث فقط ويريد قسم ثالث عدداً
من الذكور والإناث وفق مشيئته هو دون النظر الى ضرورة التوازن في الجنس
البشري وضرورة التوازن العام في الحياة وضرورة التوازن الشامل المترابط على
الأرض وضرورة التوازن المطلق المعلوم والمجهول في الوجود كله...١١

إن معرفة الناس لما في جميع البطون في آن واحد ومنذ اللحظة الأولى
للحمل وابتداءً من أوائل البشر من شأنه لو حصل أن يتسبب في اختلال التوازن
العديدي لبني آدم ، إذ يكون ذريعة للاجهاض العام حين يتدخل الانسان بإدارته
والتأثير عليه بالتصرف الفاسد...١١

اكتشف ما شاء الله لك أيها الانسان ، غير أن القدرة العليا تظل هي
المتحكم وحدها في التصريف الكوني المتحمل بإيجاد الأدميين وتدبيره بعيداً عن
أفق الناس المحدود مهما يتمتع...١١

يقول تعالى : «ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم
طفلاً» (٨) «هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء» (٩) «والله يعلم ما تحمل كل
أنثى وما تفيض الأرحام وما تزداد» (١٠) .. مشيئة اختص بها الخالق سبحانه بكل
الانتظار ، يعلم ما تحمل كل أنثى في هذا الوجود بوقت واحد وقبل أن تخلق الإناث...١١
فياله من علم... وإنه ليعلم أحوال الجنين في كل لحظة فيدير احتياجاته على أفضل

(٧) الآية ٣٤ سورة لقمان.

(٨) الآية ٦ سورة آل عمران.

(٩) الآية ٨ سورة الرعد.

(١٠) الآية ٥ سورة الحج.

وجه ، وهذا شأنه مع كل مخلوق...١٠

وفي الحق إن عبارة «يعلم ما في الأرحام» لا تقتصر على صنف الجنين ذكراً أو أنثى بل هذا بنطاقه الواسع الشامل التفصيلي هو بعض العلم ، لأن هناك أيضاً اختصاص الله تعالى بعلم التدبير المطلوب ومستلزماته وعلم حال الجنين مستقبلاً أهو شقي أم سعيد وما سيخط على صفحة الدنيا من أعمال والعلم بساعة الخروج من الرحم وساعة الرحيل الى العالم الآخر.. إن العلم بذلك وغيره محصور برب العالمين تبارك وتعالى أما بعض العلم عندما يتاح لأناس في هذا المجال فهو يتم بتخويل وإرادة من العليم الخبير ويجب على هؤلاء أن لا يتبجحوا بامتلاك العلم متناسين الرب المنعم الذي خولهم إياه لاسيما أنه يقول «علم الانسان مالم يعلم»^(١١) وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً^(١٢).

ثم لو علم الإنسان شيئاً من اختصاص الخالق في إيجاد الجنين وتدبيره فما هو فاعل بهذا العلم...؟ أيتحكم بإيجاد الجنين بشكل محتتم فلا يموت...؟ أيتحكم بنوعه على نطاق واسع شامل تفصيلي...؟ أيستطيع أن يدبر شؤونه بدل الخالق بما في ذلك عمليات التفاعل المعقدة جداً ويوفر جميع مستلزمات الخلق بما في ذلك المواد الحية...؟ إنه علم مقرون بتدبير لا يحتملها إنسان لأنه مخلوق ولا يمتلك صفات الخالق الفعال لما يريد... فلا إله إلا الله العلي العظيم.

ماذا نكسب غداً ؟

العلم بالكسب غداً أمر يختص به الخالق وحده...١٠

فأي إنسان يستطيع أن يجزم بمعرفة ما يكسب غداً وهو لا يضمن عيشه بضع لحظات لاحقة...؟ بل إنه لا يدري كم نسمة هواء بقيت من حظه في الدنيا أهي واحدة أم ملايين...؟ إذا ادعى مكابر مثل هذا العلم فإن شبح الموت المخيم على الانسان والمهدد لحياته في كل لحظة يقول له : كذبت...١٠

إنه علم لا يتأتى للانسان في الواقع المعروف المعاش.. وامتناع هذا العلم عليه أمر ضروري لحياته التي صممها الله تعالى لتكون ساحة امتحان إذ أنه في حال معرفته بما يحدث له غداً قد يتقاعس عن السعي والبذل والأخذ بالأسباب التي تعتبر من ألزم القوانين في طبيعة دنيانا...١٠

(١١) الآية ٥ سورة العلق.

(١٢) الآية ٨٥ سورة الاسراء.

وكيف يمكن اختبار نوايا الانسان لتمييز صلاحها من عدمه إذا قدر له الاطلاع على ما يكسب غداً قبل أن يداهمه...؟ معرفة ما يأتي غداً من خير وشر ونفع وضر وصحة ومرض وسوى ذلك أمر لا ينسجم مع طبيعة الانسان ولا مع طبيعة الأرض ولا مع أهداف الحياة... ١٠

يقول تعالى: «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً» (١٣) «قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء» (١٤).

أن يستكثر أي امرئ من الخير كما يحلو له ويتحاشى كل سوء آتٍ يعني عتله في الأرض وفساداً ، وأن يمسك الانسان بجزء من دفعة المقادير الحياتية يسيرها كيف يشاء وحيث يريد يعني تصادم الإرادات الانسانية التي لاتعد ولا تحصى مع بعضها ومن بعد تعارضها مع إرادة الخالق الذي شاء أن تجري الحياة بلوغاً لأهداف يبتغيها هو جل وعلا... ١٠

بأي أرض تموت ؟

يقول تعالى: «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت» (١٥).

لو درت نفس بموعد ومكان موتها لتعطلت قوانين كثيرة وجدت لتعمل في حياة الانسان والمجتمع ولقدت معايير الهداية والضلال أهميتها ولانحسر تطبيق منهج الحق الالهي أطول فترة من الوقت محصوراً بأضيق رقعة ولشاع الفساد في الأرض على أوسع نطاق فتتعدى الحياة بحدودها المعروفة... ١٠

تذهب الآمال بالمرء كل مذهب توهماً منه وغروراً... فيحل قدره الكامن خلف ستار الغيب السميك مفاجئاً... إنها لرحمة من الخالق أن يجهل عباده موعد ومكان انتقالهم من هذه الدار الفانية الى دار البقاء.

إن الآية ترسم للمخلوق حدوداً على قدر احتياج حياته تظللها آفاق مطلقة للخالق بلا حدود... (وإن النفس البشرية لتقف أمام هذه الأستار عاجزة خاشعة تدرك بالمواجهة حقيقة علمها المحدود وعجزها الواضح ويتساقط عنها غرور العلم والمعرفة لدعاة... وتعرف أمام ستر الغيب المسدل أن الناس لم يؤثروا من العلم إلا قليلاً ، وأن وراء الستر الكثير مما لم يعلمه الناس ، ولو علموا كل شيء آخر

(١٣) الآية ٣٤ سورة لقمان.

(١٥) الآية ٣٤ سورة لقمان.

(١٤) الآية ١٨٨ سورة الاعراف.

فسيفلون واقفين أمام ذلك الستر لا يدركون ماذا يكون غداً..! بل ماذا يكون اللحظة التالية ، وعندئذ تظامن النفس البشرية من كبرياتها وتخضع لله.

رقعة فسيحة في الزمان والمكان وفي الحاضر الواقع والمستقبل المنظور والغيب السحيق.. وفي خواطر النفس ووثبات الخيال : ما بين الساعة البعيدة المدى والغيب البعيد المصدر وما في الأرحام الخافي عن العيان والكسب في الغد وهو قريب في الزمان ومغيب في المجهول وموضع الموت والدفن وهو مبعد في الظنون.

إنهارقعة فسيحة الآماد والأرجاء ، ولكن اللمسات التصويرية العريضة بعد أن تتناولها من أقطارها تدق في أطرافها وتجمع هذه الاطراف كلها عند نقطة الغيب المجهول ، ونقف بها جميعاً أمام كوة صغيرة مغلقة لو انفتح منها سم الخياط لاستوى القريب خلفها بالبعيد ، ولكنها تظل مغلقة في وجه الانسان لأنها فوق مقدوره ووراء علمه ، تبقى خالصة لله لا يعلمها غيره إلا بإذن منه وإلا بمقدار «إن الله عليم خبير»^(١٦) وليس غيره بالعليم ولا بالخبير..^(١٧).

القيامة

حقيقة أم خيال ؟

خلق السماوات والأرض وما بينهما هل هو حقيقة..؟ لاشك أنه ليس بخيال..! وإنما هو كون ملموس قائم على الحق والعدل والاعتدال مطلقاً ، ولو وجدت أدنى ذرة من باطل وضعف واضطراب في هذا الخلق العظيم لما استمر قطعاً طوال زمن مديد ولكان مصيره الاضمحلال منذ وقت بعيد..!

ومثلما أن خلق السماوات والأرض حق فإن مجيء الساعة حق يقيني كذلك..! من قرر هذا الأمر..؟ إنه الخالق تبارك وتعالى إذ يقول :«وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لأتية»^(١٨).

إنه غيب..! نعم ، فمن يملك الحديث عنه سوى خالق هذا الكون ومدبره..؟ يقول تعالى :«ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير»^(١٩).

يا الله !.. أقرب من لمح البصر..؟ نعم !.. أليس هو على كل شيء

(١٦) الآية ٣٤ سورة لقمان. (١) الآية ٨٥ سورة الحجر. (٢) الآية ٧٧ سورة النحل.
(١٧) (في ظلال القرآن) المجلد السادس ص ٥٠٠ بتصرف قليل ، وينظر (التصوير الفني في القرآن) فصل : التناسق الفني.

قدير...؟ إنه وعد من الله مالك الاقتدار كله .. فهل ثمة شك بمجيء هذا الحدث الهائل...؟ يقول تعالى : «أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها»^(٣).

وإذا أخفي عنا موعد الساعة فهل يعني حلولها بعد أجل مديد...؟ كلا... يقول تعالى : «وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً»^(٤).. ولا يعني هذا أن أياماً قليلة بقيت على حلولها ولكن المراد إبقاؤها عالقة في الذهن متوقعة الحدوث في كل لحظة «هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون»^(٥).

ولقد لقي الرسول صلى الله عليه وسلم إلحاحاً من المستريين حول موعد الساعة وكان هذا الشأن إذا لم ينص عليه ليس هو بآتٍ فجأهم الرد من صاحب الأمر سبحانه وتعالى: «ويقولون : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟.. قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين»^(٦).

إنه شأن إلهي خاص لا دخل للإنسان فيه وما الرسول الكريم إلا نذير مبين.. فمن شاء الوقوف عند حدوده مصداقاً بخبر الوحي فقد أحسن التصرف ومن أراد أن يتجاوز حدوده بلا مبرر معقول فاستراب بما أخبر به وكذب فقد أساء ، ولكل تبعه ما اختار...!

والله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب.. يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفسى ضلال بعيد»^(٧).

كيف تأتي ؟

إنها آتية إذن لا محالة.. فهل من شيء وارد عن كيفية المجيء...؟ نعم.. هناك ملامح في القرآن تلقي ضوءاً على هذا الجانب مادام هو تأكيداً للمجيء وليس بياناً للموعود...!

يقول تعالى : «لا تأتيكم إلا بغتة»^(٨).. إنها حدث مفاجئ... أي بغتة...؟ «وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب»^(٩).. إنها خاطفة فوق التصور البشري...! فهل لها مقدمات...؟ نعم.. «فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها»^(١٠).

(٣) ٢١ سورة الكهف. (٦) الأيتان ٢٥ و ٢٦ سورة الملك. (٩) الآية ٧٧ سورة النحل.

(٤) الآية ٦٣ سورة الاحزاب. (٧) الأيتان ١٧ و ١٨ سورة الشورى. (١٠) الآية ١٨ سورة محمد.

(٥) الآية ٦٦ سورة الزخرف. (٨) الآية ١٨٧ سورة الاعراف.

أشراط الساعة

هناك جملة علامات إذا وقع أي منها يعني أن البقية تترى ومن ثم يرتقب مجيء الحدث المخاطف العظيم أي قيام الساعة.. ولكن لا ينبغي أن يذهب بك الظن إلى أنك في فسحة ومتسع لأن أولى العلامات وأضخمها قد حلت فعلاً وهي أماننا شاخصة.

ماهي ؟.. إنها بعثة خاتم الأنبياء.. (بعثت أنا والساعة كهاتين) هكذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم مشيراً بإصبعيه السبابة والوسطى^(١١).

فما بقية العلامات ؟.. لقد تولى الإخبار عنها الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم «وما ينطق عن الهوى.. إن هو إلا وحي يوحى»^(١٢).. فالى التفاصيل : أولاً- سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن أمارات الساعة فقال : (أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)^(١٣).

أي أن تزول الرئاسات الاجتماعية إلى أناس قليلي التربية جهال فلا يقام وزن لخلق قويم ومعارف غزيرة وإنما الوزن آنذاك لوفرة المال وقوة الساعد فقط ، وفي العصر الحالي نجد أن شيئاً من هذا قد حصل فعلاً وهو مفضوح رغم الادعاءات التي تغطيه وتبرر أمام البسطاء (حاجة) اللجوء إليه..

ثانياً- قال صلى الله عليه وسلم : (إذا اتخذ الفيء دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مفرماً وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمة وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الاصوات في المساجد وساد في القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشريت الخمر ولعن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا عند ذلك ربعا حمراء وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع)^(١٤).

ثالثاً- قال صلى الله عليه وسلم : (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) قيل : كيف إضاعتها يا رسول الله.. ؟ قال (إذا أسند الأمر إلى غير أهله)^(١٥).

رابعاً- قال صلى الله عليه وسلم : (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة)^(١٦) وحتى يبعث^(١٧) دجالون

(١١) رواه البخاري. (١٤) رواه الترمذي. (١٦) يذهب البعض إلى أن هنا قد تحقق

(١٢) الآيتان ٣ و ٤ سورة النجم. (١٥) رواه البخاري. /باقتتال فئة الامام علي وفئة معاوية.

(١٣) رواه البخاري ومسلم. (١٧) يظهر.

كلايون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله^(١٨) وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا إرب لي به وحتى يتطاول الناس في البنيان^(١٩) وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه^(٢٠) ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعان ولا يطويان ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه^(٢١) ولتقوم الساعة وهو يلبط^(٢٢) حوضه فلا يسقي فيه ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها^(٢٣)..(٢٤).

خامساً- يأجوج ومأجوج.. يقول تعالى :«حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون.. واقترب الوعد الحق...»^(٢٥).. ليس هناك من خبر يقيني عن يأجوج ومأجوج أكثر مما جاء في الآية ٩٤ سورة الكهف لدى الحديث عن ذي القرنين والآية ٩٦ سورة الأنبياء وما رواه الإمام أحمد عن زينب بنت جحش زوج النبي عليه افضل الصلاة والسلام قالت : استيقظ الرسول صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر الوجه وهو يقول : (ويل للعرب من شر قد اقترب.. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا) وحلق بالسبابة والإبهام.. قلت يا رسول الله : أنهلك وفينا الصالحون..؟ قال : (نعم إذا كثر الخبيث).

(النص القرآني لا يحدد زمناً معيناً لخروج يأجوج ومأجوج فاقتراب الوعد)

(١٨) كمسيلة الكتاب والاسود العنسي وغيرهما عقب وفاة الرسول وكمؤسس القادبانة ورؤساء البهائية والشع محمد مفضل كثرة من الزنوج الامريكيين في العصر الحديث.

(١٩) في مدينة نيويورك الامريكية حالياً ابنية تسمى ناطحة السحاب.

(٢٠) بالشدة الفتن..١٠ يمتنى مكان صاحب القبر ليس لأنه رجل صالح قد نال الكرامة في حسن الجزاء وإنما لأن المقبر قد نجى من حياة كلها فتن..١٠ وبالهول الامر عندما يمتنى الموت انسان شرير - لأن الرسول يقول كما يروي البخاري : (من شرار الناس من تدرهم الساعة وهم احياء) - غير مهال بعاقبة المصير الأخرى ١٠.

(٢١) تعة هي الناقة ذات اللبن.. يعني أن الساعة حين تقوم تستغرق وقتاً جد ضئيل بحيث لا يجد حامل اللبن مجالاً لتناوله. (٢٤) رواه البخاري.

(٢٢) يصلح. (٢٥) الآيتان ٩٦ و ٩٧ سورة الانبياء.

(٢٣) إنها صعقة بأخطف وأسرع ماتكون .

الحق بمعنى اقتراب الساعة قد وقع منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء في القرآن : «اقتربت الساعة وانشق القمر» والزمان في الحساب الإلهي غيره في حساب البشر فقد تمر بين اقتراب الساعة ووقوعها ملايين السنين أو القرون يراها البشر طويلة مديدة وهي عند الله ومضة قصيرة.. فاقتراب الوعد الحق ربما يكون قد وقع بأنسياح التتار وتدفقهم شرقاً وغرباً وتحطيم الممالك والعروش وتدمير الخلافة العباسية ، وقد يكون هذا تعبير رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم.. وعلم ذلك عند الله وكل ما نقوله ترجيح لايقين» (٢٦).

سادساً- ظهور المهدي آخر الزمان.. تفيد روايات كثيرة (٢٧) أن اسمه محمد بن عبدالله أو أحمد بن عبدالله وأنه من ولد فاطمة رضي الله عنها وأنه يشبه الرسول صلى الله عليه وسلم في الكثير من خصاله وإن كان لا يشبهه في الخليفة إذ أنه أجلى الجبهة أقتى الأنف.. فيملأ الأرض عدلاً بعد أن تمتلئ بالظلم وتعلو في ظله كلمة الاسلام ويكثر الرخاء من وفرة العدل ، وإنه يمكث على هذه الحال سبع سنين.

سابعاً- خروج الدجال الأكبر.. عن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم استنصت الناس يوم حجة الوداع فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر الدجال فأتنب في ذكره وقال : (ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته ، وإنه يخرج فيكم ، فما خفي عليكم من شأنه ، فلا يخفى عليكم أن ربكم ليس بأعور ، وإنه أعور العين اليمنى كأن عينه طافية) (٢٨).

واستخلاصاً من السنة تفيد المراجع الموثوقة أن الدجال من عباقرة اليهود يدعي الألوهية ويطوف في البلدان محاولاً فتنه الناس عن دينهم بما يحدثه من خوارق العادات وما يظهر على يديه من عجائب فيفتن به تاهو كل ناعق ويثبت الله الذين آمنوا فلا يخذعون بأضاليله ثم ينكشف أمره ويقضى على فتنته ويقتل بأيدي المسلمين وقائدهم آنذاك عيسى بن مريم عليه السلام (٢٩).

(٢٦) (في ظلال القرآن) المجلد الخامس ص ٤١٤ و ٥٦٤ يتصرف قليل.

(٢٧) لمسلم وأبي داود والترمذي والحاكم . (٢٩) ينظر (العقائد الإسلامية) ص ٢٥٣.

(٢٨) رواه البخاري ومسلم.

تامناً- رجوع عيسى .. قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب^(٢٠) ويقتل الخنزير ويضع الجزية^(٢١) ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً»^(٢٢).

تذهب كثرة من أهل التفسير الى أن الآية تشير الى إيمان أهل الكتاب بعيسى عليه السلام عند نزوله من السماء قبيل الساعة.. ومن هنا نفهم لماذا خص عيسى الرسول بالرجوع الى الحياة الدنيا وليس غيره من الأنبياء (لأن الخرافة التي تعلقت بشخصه ملأت الأرجاء وقامت باسمها دول قوية فليكذب الرجل نفسه بما أشاع الخلق عن ألوهيته وهو ليس إلا عبداً لله.. ولما كانت الحياة وحدة متماسكة فنزوله في آخر الزمن كال في الدلالة على هذا المعنى ، وإن جاء عقب ضلال طويل...^(٢٣)).

تاسعاً- شروق الشمس من مغربها.. قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورأها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً)^(٢٤).

وهذا التمهيد له أكبر الدلالات على الانقلاب الكوني الهائل مثلاً بقيام الساعة لأن تغير طلوع الشمس يعني إيداناً بحدث فلكي عظيم يدمر النظام السائد في الأرض والفضاء الخارجي...١

إنها إشارة البدء على صعيد الكواكب والأجرام...١

عاشراً- خروج الدابة .. يقول تعالى : «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون»^(٢٥).. (إذا انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة وحق القول على الباقيين فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك وإنما يقضى عليهم بما هم عليه.. عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم ،

(٢٠) مكنباً زعم النصارى بأنه قتل وصلب.

(٢١) لا يقبل من أهل الكتاب إلا الإسلام.

(٢٢) لا يقبل من أهل الكتاب إلا الإسلام.

(٢٣) الآيات ١٥٩ سورة النساء..رواه البخاري ومسلم.

(٢٤) (٢٣) (عقيدة المسلم) ص ٢٨٢.

(٢٥) (٢٤) رواه البخاري ومسلم.

(٢٦) (٢٥) الآية ٨٢ سورة النمل.

والدواب لا تتكلم أو لا يفهم عنها الناس ، ولكنهم اليوم يفهمون ويعلمون أنها الحارقة المنيئة باقتراب الساعة ، وقد كانوا لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدقون باليوم الموعود^(٣٦).

لماذا تخرج دابة تكلم أناساً لا تقبل منهم توبة وهم من شرار الخلق وعلى وشك الوقوف في ساعة الحساب الأخروي الشديد...؟ (عندي أن هذه العلامة نوع من العتاب والتقريع لبني آدم الذين جهلوا ربهم وجحدوا حقه مع ما آتاهم من عقل وفكر ، فلا بأس أن تخرج سلالة من البغال أو الحمير لتضرب بحوافرها جباه الساسة والقادة وتقول لهم : أما لكم رأي يصلحكم بالله رب العالمين...؟ أين الذكاء والفهم...؟ كيف تلحدون...؟)^(٣٧).
وقائع الساعة

يقول تعالى واصفاً حجم الساعة : «ثقلت في السموات والأرض»^(٣٨).. كيف...؟ «إن زلزلة الساعة شيء عظيم»^(٣٩).. فما تفاصيل هذا الحدث الهائل الرهيب...؟

يفهم من مجمل الآيات القرآنية التي تصف وقائع الساعة أن تدميراً أعنف ما يكون سيصيب الكون المادي المحسوس فيتركه هباء... ولأن الخطاب موجه للإنسان فقط جرى الاهتمام بعرض أبرز ما يشاهده هذا المخلوق من معالم الوجود الضخمة قياساً إلى حجمه وهي :

أولاً- مصدر الحرارة والضوء الشمس والقمر: يقول تعالى : «إذا الشمس كورت»^(٤٠) «فإذا برق البصر.. وخسف القمر.. وجمع الشمس والقمر»^(٤١).. البصر يندهش فزعاً ، وخير له لو ينطمس تماماً آنذاك هو والسمع حتى لا يرى الإنسان المذعور ولا يحس بما يجري من حدث كوني فظيع... الشمس كتلة من نار حجمها بقدر الأرض مليون مرة وهي تبعد حالياً عن القمر حوالي ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال تخمد فجأة وتتقارب مع تابع الأرض الصغير حتى يجتمعا... أي مشهد هذا وسط الظلام والذعر...؟ إن مشهد زلزال بسيط أو بركان أو إعصار يجعلنا نهتز هلعاً فكيف بذلك المشهد

(٣٦) (في ظلال القرآن) المجلد السادس ص ٣٠٨. (٣٩) الآية ١ سورة الحج.

(٣٧) (عقيدة المسلم) ص ٢٨٢. (٤٠) الآية ١ سورة التكوير.

(٣٨) الآية ١٨٧ سورة الاعراف. (٤١) الآيات ٧-٩ سورة القيامة.

الضخم فوق التصور المؤذن بنهاية الدنيا.. ٢١

ثانياً- السماء بما تحويه من نجوم وكواكب وأجرام .. يقول تعالى : «وفتحت السماء فكانت أبواباً» (٤٢) «وانشقت السماء فهي يومئذ واهية» (٤٣) «إذا السماء انفطرت.. وإذا الكواكب انتثرت» (٤٤) «وإذا النجوم انكدرت» (٤٥) «يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب» (٤٦) «يوم تأتي السماء بدخان مبين» (٤٧) «يوم تقوم السماء موراً» (٤٨) «يوم تكون السماء كالمهل» (٤٩).

السماء تشقق وتتفطر... وتطوى كصفحة الكتاب... تملأ بالدخان لأنها مضطربة تدور كالرعى وشبيهة بالمعدن المذاب... كواكبها متبددة ونجومها متهاوية حيث لاجاذبية ولا نظام ولا عمل باستثناء كون الوضع التدميري المائل مقصوداً بالضبط ومسيطر على كل ما يجري فيه... ١

ثالثاً- الأرض بكل ما عليها من مظاهر لاسيما الكبرى مثل البحار والجبال.. يقول تعالى : «إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها» (٥٠) «وإذا البحار فجرت» (٥١) «وإذا البحار سجرت» (٥٢) «وسيرت الجبال فكانت سراباً» (٥٣) «وتكون الجبال كالعهن المنفوش» (٥٤) «وإذا الأرض مدت.. وألقت ما فيها وتخلت» (٥٥) «إذا دكت الأرض دكاً دكاً» (٥٦) .. هذا الزلزال ليس كالتي تحدث هنا وهناك منذ القديم ، إنه زلزال يضرب الأرض كلها ومن تأثيره الشديد أن تخرج كل ما بباطنها من أشياء ثقيلة وما أكثرها... ١

أيها الانسان إنك تقف الآن أمام البحر والجبل وإذا ترى الأمواج المتلاطمة وامتداد الأفق وارتفاع القمة وبدائع التكوين تشعر بشيء من الرهبة وإكهار الخلق العجيب الضخم فلك أن تتصور كيف أن البحار كلها تتفجر طاغية بمياهها الملتهبة بالنيران وكيف أن الجبال تنفتحت وتضمحل وتصير كالصوف المصبوغ بألوان مختلفة المتطير في جو الزلزلة الكبرى وسط الدخان الكثيف والظلام الدامس والانفجارات الهائلة واختلاط الماء بالنار في سيول عارمة... ١

(٤٢) الآية ١٩ سورة النبا. (٤٧) الآية ١٠ سورة الدخان. (٥١) الآية ٣ سورة الانفطار.

(٤٣) الآية ١٦ سورة الحاقة. (٤٨) الآية ٩ سورة الطور. (٥٢) الآية ٦ سورة التكوين.

(٤٤) الآيتان ١ و ٢ سورة الانفطار. (٥٣) الآية ٢٠ سورة النبا.

(٤٥) الآية ٢ سورة التكوين. (٤٩) الآية ٨ سورة المعارج. (٥٤) الآية ٥ سورة القارعة.

(٤٦) الآية ١٠٤ سورة الانبياء. (٥٠) الآيتان ١ و ٢ سورة الزلزلة.

(٥٥) الآيتان ٣ و ٤ سورة الإنشقاق (٥٦) الآية ٢١ سورة الفجر

وقد الأرض منبسطة فلا تكوير ولا أعماق.. فما الذي فعله الزلزال الأعظم؟ لقد ذك الأرض دكا..١٠

رابعاً- الانسان ابتداء من القبور وانتهاء بمن بقي حياً من البشر بمن فيهم الأم ورضيعها.. يقول تعالى: «وإذا القبور بعثرت» (٥٧) «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث» (٥٨) «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» (٥٩).. عندما تلقي الأرض ما تحتويه فإن القبور هي أقرب شيء الى سطحها فتتقلد خارجاً متبعثرة ، والناس متفرون في كل ناحية كأنهم فراش يتساقط في النيران المنتشرة في كل مكان ، إنه حدث مذهل فعلاً أقصى ما يكون الدهول عندما تترك الأم رضيعها وتهتم بنفسها فقط وعندما يسقط جنين الحبلى قبل أوانه من هول الأصوات والمشاهد والفرع ، والمجرمون عموماً كأنهم سكارى بدون خمر بتذكرهم أوان عذاب الله الشديد، فإذا كان قيام الساعة بهذا الرعب والمعاناة فكيف يعقاب جهنم؟

خامساً- الآن لك أن تمزج المشاهد كلها لترى المشهد العام.. الشمس والقمر منطفئان والأجرام كلها متناثرة قد تعطل عملها والسماء تمثلى بالدخان كأنها معادن مذابة والأرض قد صارت كورقة الكتاب بعد أن تحطمت وتبدد كل ما احتوته والانسان مدهول وسط أكبر كارثة تخطر على البال والمجرم يعاني رعباً هو مقدمة للعقاب الآتي جهنم وبئس المصير..١٠

سادساً- مجيء الساعة لا يستغرق أكثر من لحظة.. ولكن أي لحظة هي واللحظات التي تتبعها؟ لو وزعت على عمر الأرض والبشر لجعلت الحيلة عذاباً لا يطاق.. لنلتصق لهذا الأمر مثلاً حتى لا يستهين البعض بتلك اللحظة وما يأتي بعدها من أهوال قيام الساعة ، لو أن أحداً خير بين وضعه في السجن مع الأشغال الشاقة ثلاثين عاماً وعقوبة الاعدام التي يفارق الحياة فيها خلال بضعة ثوانٍ فأيهما يختار..؟ لاشك أن يفضل السجن الطويل بعذابه لأن ما يلاقبه أثناء الثلاثين عاماً يكاد لا يساوي شيئاً بالقياس مع القتل ، ولو أن هذا العقاب لا يستغرق أكثر من بضعة ثوانٍ..؟ إنه مجرد مثل ، فالأمر فوق ذلك بلا حصر..١٠

(٥٧) الآية ٤ سورة الانفطار. (٥٨) الآية ٤ سورة القارعة. (٥٩) الآية ٢ سورة الحج.

الروح

من مظاهر الروح

أولاً- الروح محدثة : يقول تعالى : «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ»^(١).

وقال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغه مثل ذلك ، ثم يرسل الله تعالى الملك فينفخ فيه الروح..^(٢) أي أنها ليست أزلية.

ثانياً- الروح من الله وبها نعيش : يقول تعالى : «ثم سواه ونفخ فيه من روحه»^(٣).. بروح من ربه صار الانسان حياً يسمع ويبصر ويدرك ويمارس أفعال الحياة.

ثالثاً- تمكث الروح وتغادر بارادة ربها : يقول تعالى : «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً... كل نفس ذائقة الموت»^(٤).. إن الروح تمكث في الجسد الى أمد معين تغادره بعدئذ حسب مشيئة الخالق سبحانه.

رابعاً- بقاء الروح : يقول تعالى : «كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون»^(٥).. إذا فارقت الروح الجسد مات الإنسان ، فما معنى ذلك ؟ إن روحه تظل كائنة ولا تتعرض للبلى كما يحصل للجسد ، وإن كل ما يتم بالموت هو أن ينتقل الإنسان بروحه دون جسده من عالم المادة المشهود الى عالم الغيب البقيني ، فالرجوع يكون الى الخالق ليكافئ أو يعاقب الإنسان على عمله الدنيوي.

حقيقة الروح

ما حقيقة الروح؟ يقول تعالى : «وسألونك عن الروح قل : الروح من أمر ربي»^(٦).. إنها سر مغلق استأثر الخالق عز وجل بكنونه ، ومادمت أياً الإنسان مخلوقاً فالزم حدك.. أم تريد أن تعرف كل شيء ؟..

(١) الآية ١٧٢ سورة الاعراف. (٤) الأيتان ١٤٥ و ١٨٥ سورة آل عمران.

(٢) رواه مسلم. (٥) الآية ٥٧ سورة العنكبوت.

(٣) الآية ٩ سورة السجدة. (٦) الآية ٨٥ سورة الاسراء.

لاتظن أنك قادر ، لأنتك محدود ، هكذا شاء خالقك .. فحذار أن تقفز خارج الحدود لأنتك لن تظفر بما تريده من المستحيل وإنما تقع في هاوية الهلاك...
المؤمن يلزم الأدب الجميل والطاعة القصوى نحو ربه جل وعلا ، بخلاف الكافر مسيء الأدب وملتزم العصيان وكأنه في الوجود كل شيء وهو في الحقيقة ما صار شيئاً ونال كرامة إلا بمشيئة من الله تعالى وفضل...
العروة

يقول تعالى : «كما بدأكم تعودون»^(٧).. إذا غادرت الروح الجسد تبدأ مسيرة أخرى إنها رحلة يعود فيها الإنسان الى ربه بإذن منه تعالى واقتدار .. فمن خلق وأوجد وأنعم وتفضل وأحيا وأمات لقادر على أن يبعث خلقه من جديد ليفصل بينهم كما وعد.
مرحلة القمر

وتسمى البرزخ ، إنها بين موت الإنسان وبعثه.. يقول تعالى : «حتى إذا جاء أحدهم الموت قال : رب ارجعون.. لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون»^(٨) «النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب»^(٩) «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون.. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون»^(١٠).

ويقول الصادق المصدوق عليه السلام : (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة)^(١١).

تزكية الروح

لم يكن وجودنا في الأرض دون هدف أو اعتباراً بل إن كل شيء قد رسم بدقة وتهيات له كل الأسباب.. فما أن يطل الإنسان على دنياه يبدأ شروط الامتحان

(٧) الآية ٢٩ سورة الاعراف. (١٠) الأيتان ١٦٩ و ١٧٠ سورة آل عمران.

(٨) الأيتان ٩٩ و ١٠٠ سورة المؤمنون. (١١) رواه البخاري ومسلم.

(٩) الآية ٤٦ سورة غافر.

ابتلاء من الله تعالى «لنتظر كيف تعملون» (١٢) ومن بعد ليعطى كل امرئ استحقاقه يوم الحساب في المصير الأبدي.

يقول تعالى : «قد أفلح من زكاها» (١٣) .. وما أحسن التزكية.. إنها تطرد الشوائب وتبقي الجوهر وحده يهرق كالشمس من شدة الإلتماع.. المؤمن يتعرض لأعبائه دون وجل مادام سائراً على منهج الله حتى لو كان وضعه في الدنيا يشبه الذهب وسط الأتون ففي ذلك تخلص له من العناصر الدخيلة والأضرار ومن ثم استحقاق الدرجات العليا في رضوان الله.

إنه الفلاح حقاً..

أولاً- أن تؤدي الإمتحان موفقاً.

ثانياً- أن تنال الدرجة العليا.

ثالثاً- أن يصدر الرضا من الله.

رابعاً- أن تنجو من السخط والعذاب.

خامساً- أن تظفر بالنعيم الأبدي.

قل لي بريك : ماذا يساوي كل جهد التزكية وآلامها في عمر دنيوي قصير الى جانب أكرم الجزاء وأسغاه في حياة الخلود العظيم..؟ بل إن ذرة من رضى الله تعالى تهون بجانبها كل متاع الدنيا وكل الشدائد والآلام لو كنا منصفين.. فأبي فلاح عظيم هو حيازة رضى الخالق الكريم أبداً..؟

خسران الروح

أما الانسان غير المؤمن بالمنهج الإلهي فيرضخ لثقله الجسد وفوران المادة غير ملتفت الى ضرورة ابقاء الروح مجابة دواعي الخير عامرة بصلاح الحال مصانة المستقبل الأبدي..؟

إنه لا يفكر بمدى أبعد من لذائذ البطن والفرج الآتية أما عواقب الأمور فكأنها لا تعنيه إطلاقاً.. يقول تعالى : «وقد خاب من دساها» (١٤) .. لقد طمست بسوء فعله كل البواعث الكامنة في الروح التي تدعوه الى طريق الهدى وأداء أمانة الخالق على النحو المطلوب والحرص على سلامة العقبى..؟

لقد نفخت الروح في هذا الإنسان رحمة فإذا به يحولها الى نقمة ، كيف..؟

(١٢) الآية ١٤ سورة يونس.

(١٤) الآية ١٠ سورة الشمس.

(١٣) الآية ٩ سورة الشمس.

إنه يأكل ويتمتع ويلتذ بلا مراعاة للحلال والحرام معتقداً أن المهم هو أن يعيش دنياء - لقد سمعت كثرة يرددون بلا مبالاة (اطعمني اليوم واذهبني غداً) - فيموت أخيراً ، إن جسمه يخمد ولكن روحه تظل حية فتنتقل الى العالم الآخر ممثلة لصاحبها الشقي لتتجرع الحسran عذاباً بأمر وأفزع وأدوم ما يكون...١٠

أسرار عميقة

السر في السماوات والأرض

ما أكبر وأوسع وأرهب عالم السر الواقع وراء التصور الإنساني ١٠٠ إن عظمة هذا العالم لتبدو هائلة في أبسط قطرة من ماء وأضال ذرة من تراب ١٠٠ فما أضخم مكان الأرض كلها ١٠٠ وما أعصى السر في السماوات العلى البعيدة ١٠٠ إن المحيط بعالم السر في السماوات والأرض لهُو خالق كل شيء باقتدار لامثيل له وعالم كل شيء بإحصاء لأتأى التفاصيل.

الله تبارك وتعالى يقول إن عالم السر في السماوات والأرض يقع في حيز قدرته «وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي على عليه بكرة وأصيلاً.. قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً» (١).

لدى دحض أقاويل المبطلين ومزاعمهم الباطلة نحو القرآن ذكر رب العزة والجلال أن علم السر في السماوات والأرض لا يملكه أحد سوى منزل هذا الكتاب ١٠٠ وما أحسن التنويه بامتلاك السر هنا عند دفع فرية كترك ١٠٠ فالكتاب معجز لأنه لا يضارع ، وما دام منزله عز وجل ينفرد بامتلاك السر في عالم واسع هائل هو السماوات والأرض فأنى يمكن لأحد مضارعتة ١٠٠؟

والأمر ليس صفة تدعى فحسب وإنما قراءة القرآن المائل بين أيدينا تكفي لإثبات أن منزله وليس من أحد سواه هو العليم بالسر في السماوات والأرض بكل التمكن وأنه لا تخفى عليه في الكون خافية إطلاقاً.

ومسألة علم السر في السماوات والأرض لا يعطيها أحد استحقاقها من التقدير والاحترام مثل العلماء وأولي الألباب إذ أنهم يعرفون أكثر من سواهم أي قدرة تلك التي تهيمن على الوجود بما فيه عالم السر في السماوات والأرض ١٠٠

صحيح أن الله تعالى قد دحض أقاويل الجهلة السفهاء ولكن الرد عليهم جاء يخاطب أولي القدر الرفيع في العلم والفكر والعقل.. الجهلة والسفهاء إن اقتنعوا أو

(١) الأيتان ٥ و ٦ سورة الفرقان.

لم يقتنعوا فهم وما أرادوا ، أما دفع فرية تمس القرآن فقد جاء ليحظى بإنصاف من هم الناس فعلاً...!

إن الله «كان غفوراً رحيماً» يغفر جهل التائبين ويرحم النبيين اليه ، ولو أنه يؤاخذ الناس بما يعلمه هو بلا غفران ورحمة لما أبقى منهم أحداً...!

خاتمة الأعين وما تخفي الصدور

القاء نظرة نحو شيء هو مما يحتمل مقاصد عديدة ، فليس المظهر الخارجي وحده يكافئ لتفسير مرامي تلك النظرة وبيان الغرض منها.. فالنظر - مثلاً - التي انزال الميت في القبر ما حقيقته في قلب شقيقه..؟ أهو لتحصيل العبرة بأن هذا المصير سيتناول جميع الناس قريباً دون استثناء أحد منهم..؟ أم هو سخط على قضاء الله تعالى..؟ أم هو الراحة بهلاك ظالم..؟ أم هو الأثم بفقدان عزيز طيب؟ ألاكرى..؟ أم هو الفرح بحياسة أموال تورث..؟ الخ...!

الله جل وعلا وحده هو العارف بحقيقة النظر وما رمى اليه وما انطوى عليه وإن توارى بعيداً عن أفهام الناس أو تخفى بين الجوانح لا يطلع عليه أحد...!

إن هذا العلم ضروري لمن هو الخالق الحسيب الحق العدل.. انظر «اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب.. وأنذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الخناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع.. يعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور.. والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء.. إن الله هو السميع البصير» (٢).

أنت لو قرأت كل كلمة في هذه الآيات لتأدى اليك أن العلم بخاتمة الأعين وما تخفي الصدور شأن لا يملكه إلا من يملك مجازاة كل نفس بما كسبت وأنه لمن دواعي الحق والعدل وأنه لمن اقتدار السميع البصير...!

اخف ما شئت عن الناس أيها الانسان واضمر في بواطنك ما شئت فلإنك مكشوف أمام الخالق سبحانه وتعالى مؤاخذ بما تستحق ولا تحسب الأمد طويلاً لأن الله سريع الحساب مهما تباعد الزمان...!

السر وأخفى

يقول تعالى :«له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى.. وإن مجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى» (٣).

(٢) الآيات ١٧-٢٠ سورة غافر. (٣) الآيات ٦ و ٧ سورة طه.

الله تعالى مالك الكون بأسره.. أما حين يقول لعباده إن السماوات والأرض ملكه فهو جذب لانتظارهم الى خلق هائل لا يحسون إلا بجزء ضئيل جداً من بعضه ليكون تصورهم لما هو وراء ذلك أشد ضخامة ١٠٠

الأرض ليست صغيرة إنها عوالم كبرى بكل ما تحتويه إلا أنك عندما تقف في الفضاء الخارجي تجدها ذلك الجرم الصغير الحجم قياساً الى أمها الشمس التي تكبرها مليون مرة وقياساً الى المجرة ذات المئة مليار جرم أحدها الأرض وقياساً الى المجرات المملوءة بالآلاف الملايين وربما أكثر.. ١٠٠

وهذه ليست كل السماء الدنيا المزينة بمصابيح هي الأجرام التي نشاهدها والتي نتوقعها بل هي جزء قد يكون جدّ ضئيل في هذه السماء ١٠٠

فكيف بالسماء الثانية ١٠٠ وكيف بالسماوات العلى ١٠٠ إنها كون ضخيم فوق التصور.. هذه السماوات والجرم الذي تعيش فوقه أيها الإنسان هما لله تعالى كل ما فيهما له حتى الموجود تحت الثرى ١٠٠ له الذي تراه والذي يقع وراء الأفق خارج رؤيتك والمطمور تحت ما تقف عليه من سطح الأرض.. ١٠٠

وهو تعالى يعلم السر وأخفى من السر.. ما هو الأخفى..؟ إذا كان هناك سر يطلع عليه أكثر من واحد ، وإذا كان هناك سر قابل للإعلان ، فهناك أسرار لا يعرفها أحد في الوجود إلا الله تبارك وتعالى لأنه الخالق المدبر وحده.. ١٠٠

ولماذا نذهب بعيداً .. أتدري أيها الإنسان كم في جسمك من أسرار..؟ هناك منها المكتشف تباعاً كالاعضاء والأجهزة وأفعالها والحكم من ورائها وهناك المتعذر اكتشاف كنهه مطلقاً كالروح ١٠٠

فأنت لو نظرت الى نفسك في هذا الأمر لتصورت حالة السر تملأ الوجود كله المحسوس والمتوقع والمجهول والذي استأثر بعلمه الخالق دون إطلاع أحد عليه.. ١٠٠

هالة لا أكثر.. ١٠٠ وتتصورها فقط لا أكثر.. ١٠٠ وربما لا يتجاوز تصورك ذرة من تلك الهالة لا أكثر.. ١٠٠ لا تظن هذا بالشيء اليسير ١٠٠ إنه كافٍ لأن يسهم في إمداد القلب بإجلال الخالق وهيبته جل وعلا.. ١٠٠
خزائن كل شيء

يقول تعالى : «أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطر» (٤) «ولله خزائن السموات والأرض» (٥) «وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر

(٤) الآية ٣٧ سورة الطور. (٥) الآية ٧ سورة المنافقون.

معلوم»^(٦).. إن مالك الخزينة مسيطر فعلاً...١

فلله تعالى خزائن السماوات والأرض...١ وكم خزائنها...؟ لا أحد منا يملك
الجواب القاطع سوى أن يردد باعجاب المستيقن الخاشع : ما أضخم هذه الخزائن
وأعز مالكها...١

بل ما من شيء إطلاقاً في هذا الوجود إلا عند الخالق الأحد خزائنه...١ وهو
وحده المتحكم بهذه الخزائن العارف بمحتوياتها لأنه هو المنزل منها على الخلق بقدر
يجعل الكون يمضي قدماً على أروع ما يكون الوجود...١

(٦) الآية ٢١ سورة الحجر.

أوصاف قرآنية للمؤمنين بالغيب الإلهي العلم

الراسخون في العلم

يقول تعالى : «ولكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك...» (١) .. في الآية صنفان :

أولاً- الراسخون في العلم.

ثانياً- صادقو الرغبة في التماس الإيمان،

كلاهما يؤمن بالمتنجح الإلهي كله.. فتفهم أن الرسوخ في العلم يمنح صاحبه صدق الرغبة في التماس الايمان مثلما أن قلة العلم مع صدق الرغبة لاتعرقل إيمان صاحبها...١٠٠

الراسخون في العلم أفضل لأنهم قدموا في الآية مع الإشادة بصفتهم.. وهكذا تكون الصلة الوثقى بين المتنجح الالهي الأوحد وبين الناس هي العلم الرصين العميق الصحيح أو صدق الرغبة في التماس الإيمان مهما كان مستوى العلم لدى صاحبه...١٠٠ لماذا يغني الرسوخ في العلم ؟... لأن كلام الله تعالى صادر ممن هو خالق العلم ورب العلماء فهو شعلة في العلم متوهجة بفيض نوراً وبصائر وهدى لا يعرف قدره أحد كالعلماء الحقيقيين، لأنهم يميزون جيداً بين كلام بقوله البشر وبين آخر يقع وراء قدرة البشر مما يتفرد به الخالق تبارك شأنه فهم لذلك لا يترددون في الإيمان به...١٠٠

سمع الفلكي المشهور جيمس جينز من أحد جيرانه وهو عالم هندي مسلم قول الله تعالى : «الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود.. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء» (٢) فاستوقفه الشطر الأخير «إنما يخشى الله من عباده العلماء» معرباً عن عجبه الشديد بقوله : (إنه الأمر الذي كشفت عنه بعد دراسة ومشاهدة استمرت أخصمين سنة فمن أنبأ محمداً به وهو رجل أمي عاش قبل أربعة عشر قرناً...١٠٠ اكتبوا شهادة

(١) الآية ١٦٢ سورة النساء. (٢) الأيتان ٢٧ و ٢٨ سورة فاطر.

مني أن القرآن موحى من عند الله» (٣).

يقول تعالى : «ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد» (٤).

ما عقيدة هذا العالم الفلكي ؟.. إنه يفصح عنها بقوله : (عندما ألقى نظرة على روائع خلق الله يبدأ كياني يرتعش من الجلال الإلهي ، وعندما أركع أمام الله وأقول له : إنك لعظيم.. أجد أن كل جزء من كياني يشاركني هذا الدعاء ، وأشعر بسكون وسعادة عظيمين ربما لا يتوفران لدى الكثيرين..) (٥).

ويقول عالم الأحياء ألبرت ماكوب ونشستر: (إن اشتغالي بالعلوم قد دعم إيماني بالله حتى صار أشد قوة وأمتن أساساً مما كان عليه من قبل ، ليس من شك أن العلوم تزيد الإنسان تبصراً بقدرة الله وجلاله ، وكلما اكتشف الإنسان جديداً في دائرة بحثه ودراسته ازداد إيماناً بالله). (٦)

ويقول مكتشف قوانين الجاذبية اسحق نيوتن : (إن التفرع في الكائنات وما فيها من ترتيب أجزائها ومقوماتها وتناسبها مع غيرها ومع الزمان والمكان لا يمكن أن يصدر إلا من حكيم عليم) (٧).

ويقول عالم الطبيعة ميريت ستانلي كولمجن : (إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على قدرته وعظمته.. وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته.. ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل اليه بالوسائل العلمية المادية وحدها ولكننا نرى آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته) (٨).

الحكم عن إحاطة

يقول تعالى : «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله» (٩).. هؤلاء كذبوا بالقرآن اعتماداً على باعث الهوى ورجماً بالظن ، فهم يفتقدون العلم بفحوى كلام الله تعالى وتلمس حقائقه ولم يكلفوا أنفسهم عناء اختبار ما تحدث

(٣) نقلاً عن (الاسلام يتحدى) ص ٢٢٧. (٧) نقلاً عن المصدر نفسه ص ٢٥٨.

(٤) الآية ٦ سورة سبأ. (٨) (الله يتجلى في عصر العلم) ص ٢٠.

(٥) نقلاً عن (الاسلام يتحدى) ص ٢٢٧. (٩) الآية ٣٩ سورة يونس.

(٦) نقلاً عن (الطب محراب الايمان) الجزء الاول ص ٢٥٧.

عنه ولم ينتظروا مصداقه على صعيد الواقع ١٠٠

أبهذا الأسلوب التافه يجري التعامل مع الأشياء ١١٠٠

أبهذا المنهج السخيف يستخرج الحكم على الحقائق ١١٠٠

ولما يشنع القرآن بهؤلاء لأنهم تحدثوا بغير علم وحكموا بالهوى والظن فإنه

يحدد للمؤمن طريقة مثلى حقاً يلزمه أن يتخذها قاعدة في كل شيء ١٠٠٠

يقول تعالى : «ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل

أولئك كان عنه مسؤولاً» (١٠٠) .. لا يصح اتخاذ موقف من شيء دون علم به ولا

يجوز إعطاء حكم عليه دون إحاطة ولا يحل اتباع لمقتضياته دون اقتناع هو أداء

للمسؤولية ١٠٠٠

والأ فإن المرء سيحاسب بشدة على أمانات أو دعها الخالق عز وجل في كيانه

كالسمع والبصر والعقل والقلب إن لم يستخدمها على النحو الحسن ، فلأي فائدة

أعطيت أجهزة كذلك ١١٠٠

هكذا يحكم القرآن سلوك أتباعه ١٠٠٠

كل شيء موضوع تحت طائلة الرصد والمحاسبة فإما حسن يكافأ عليه المرء

وإما إساءة تستلزم العقاب إن لم يستغفر صاحبها ربه وتحظى بعفو منه ١٠٠٠ أتدري

كيف ١٠٠٠ «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» (١١١) ١٠٠٠ أي قول يلفظه الانسان

في حياته يسجل في الحال إما له وإما عليه ١٠٠٠

تفاضل المؤمنين بعلمهم

قد تساؤل : كيف يتفاضل المؤمنون بالعلم والله تعالى يقول : «إن أكرمكم

عند الله أتقاكم» (١١٢) ١٠٠٠

هذا صحيح ، ولكن : «إنما يخشى الله من عباده العلماء» (١١٣) ١٠٠٠ فزيادة علم

المؤمن تجعله أخشى لله تعالى ١٠٠٠ وعندئذ : «هل يستوي الذين يعلمون والذين

لا يعلمون» (١١٤) ١٠٠٠

طبعاً لا يستوون ١٠٠٠ بشرط : أن لا يقصد بزيادة العلم وفرة المعلومات التي

تزحم الذهن فقط وإنما الانتفاع بالحصائل العلمية تفتحاً أكثر في البصيرة وتحديد

الازدياد إجلالاً للخالق جل شأنه بما يظهر على صفحة التفكير والسلوك في مجال

التصور والتطبيق ١٠٠٠

(١٠٠) الآية ٣٦ سورة الاسراء . (١١٢) الآية ١٣ سورة الحجرات . (١١٤) الآية ٩ سورة الزمر .

(١١١) الآية ١٨ سورة ق . (١١٣) الآية ٢٨ سورة فاطر .

الحرص على الإيمان

اتباع الأحسن

يقول تعالى : «والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنا بوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد.. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب» (١).

رأوا الباطل منتفشاً في طغيانه يراد له أن يعبد بدلاً من الله تعالى فهالهم الأمر لاسيماً أنهم تذكروا عظمة الخالق عز وجل المالى بجلاله كل الوجود.. كيف رفضوا ؟ استمعوا لكل ما يطرح بهذا الصدد فاختراروا أحسن ما هناك ! فالباطل شيء تافه متهافت كما يرون ، أما الله تعالى من له الخلق والأمر فإنه الحق الجليل الرصين فلم يجدوا أي بد من الرجوع إليه..

هل أنهم كانوا يعرفونه سابقاً.. ؟ ليس أكثر من معرفة فطرتهم.. ! وكيف تأتي لهم ذلك الأسلوب الرفيع.. ؟ لأنهم « أولو الألباب ».. فأسلوبهم وليد علم وخبرة وإنصاف وجد وطلب لمعالي الأمور..

« أولئك الذين هداهم الله ».. فقوانين الهداية التي أطلقها الخالق سبحانه في هذا الكون لا بد أن تفعل فعلها القوي عندما تجد الأسباب اللازمة قد توفرت..
هدى الله

وما أن يغادروا عالم الضياع والخيرة والبؤس داخلين في ولاء الخالق المعبود جل وعلا يتجلى أمامهم نور الهداية ساطعاً.. ! فماذا يجدون.. ؟ « إن هدى الله هو الهدى » (٢).. إنه الهدى الأوحى في الكون.. !

«ومن يهد الله فما له من مضل» (٣).. إنه عهد من الله مادام المرء ملتزماً كلمة الإيمان.. ! وليس هناك إمرو آمن فأفاض الله تعالى عليه الهدى ثم نكص لعدم كفاية الهدى في طريق الحياة ودياجيرها وأمام تيارات الضلال المتلاطمة.. ! النكوص إن حصل فله سبب آخر يكمن في نفس الإنسان واختياره.. العليم الخبير سبحانه يقول : « وكفى بربك هادياً » (٤).

وأي ظلام يبقى دون تبديد في طريق المؤمن إذا كان الله تعالى خالق كل شيء قد منحه نوراً من عنده وهدى .. ؟ ! « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين..

(١) الأيتان ١٧ و ١٨ سورة الزمر. (٣) الآية ٣٧ سورة الزمر.

(٢) الآية ١٢٠ سورة البقرة. (٤) الآية ٣١ سورة الفرقان.

يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم» (٥).

سلوك الصراط المستقيم

يقول تعالى : «وانك لتهدي الى صراط مستقيم.. صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا الى الله تصير الأمور» (٦) «ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم» (٧).

صراط من اعداد الله تعالى لاشك أنه لمستقيم... لأن صراطاً يعده مالك السماوات والأرض الذي اليه ترجع كل الأمور ليس كصراط يعده بشر لا يملك شأن نفسه هو ولم يستدبر ويستقبل من أمره شيئاً...!

وانك أيها الانسان بغير الله تكون عرضة للأهوال وسط الظلمات والتهيه والانحراف فما أن تعتصم به عز وجل تلجأ الى قلعة الأمان مهدياً الى صراط مستقيم...!

ابتغاء حسن العاقبة

لماذا يتبع المرء الأحسن ؟.. ولماذا ينتفع بهدى الله..؟ ولماذا يلزم سواء الصراط ؟.. أليس ابتغاء حسن العاقبة...؟ وما أحسن عاقبة الانسان عند الله إذا هو اتبع الأحسن منتفعاً بهداه سالكاً صراطه المستقيم...!

يقول تعالى : «من جاء بالحسنة فله خير منها» (٨) «وجنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب.. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» (٩).

اتباع الحق

مصدر الحق ومقياسه

هناك حق واحد وأباطيل بلا عدد تتسمى أحياناً بالحق الأوحد المبين... ولكن عندما نتحرى مصدر الحق ومقياسه يزول اللبس ، كيف...؟

لو سئل المؤمن بالمنهج الإلهي عن مصدر حقه لقال : إنه من عند «الله الملك الحق» (١١).. ولو قيل له : ما مقياسك في هذا الاختيار...؟ لقال : إن الله هو خالق

(٥) الآيةان ١٥ و ١٦ سورة المائدة. (٨) الآية ٨٤ سورة القصص.

(٦) الآيةان ٥٢ و ٥٣ سورة الشورى. (٩) الآيةان ٢٣ و ٢٤ سورة الرعد.

(٧) الآية ١٠١ سورة آل عمران. (١١) الآية ١١٤ سورة طه.

كل شيء ويبيده مقاليد الكون كله أفلا يكون له الحق إطلاقاً؟^(١)
 «إنه الحق من ربنا»^(٢).. أي سلطان أكبر من الربوبية... وأي حق يضاهي ذلك الصادر من رب الوجود...؟ «وقل الحق من ربكم»^(٣).

وهذا تبليغ حمله إلينا رسول كريم بأن نأخذ الحق المنزل من ربنا وندع سواه ، فمن لم يستدل على الحق الإلهي بفطرته وأنوار العلم وبصائر العقل فإن التبليغ الرسالي يساعد على الاستدلال أولاً ويقيم مزيد حجة على العباد ثانياً...^(٤) و «قل : يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل»^(٥).

وبعد التبليغ فللمرء ما يختاره متحملاً وحده نتائج ذلك ، فإن اهتدى كان معزباً حق ربه ونائلاً أحسن الجزاء في الدار الآخرة ، وإن ضل كان جاحداً حق رب وملاقياً القسي للعقاب بعد انقضاء أجله...^(٦)

أما غير المؤمنين بالمنهج الإلهي إذا سئل عن مصدر ما يسميه (حقاً) وعن حجة هذا (الحق) المزعوم فما عساه أن يقول :...؟ أهنالك سلطان يدعيه أكبر من الربوبية...؟ أم هناك حق أنفُس مما أنزله خالق الناس...؟^(٧)

الله هو الحق

يقول تعالى : «ذلك بأن الله هو الحق»^(٨) «وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عيين... ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون»^(٩) «نزل عليك الكتاب بالحق»^(١٠) «وقوله الحق»^(١١) «الله يهدي للحق»^(١٢) «إن وعد الله حق»^(١٣) «ويعق الله الحق بكلماته»^(١٤) «والوزن يومئذ الحق»^(١٥).

من الحق بالإجماع ؟

المخلوق أم المخلوق...؟ المنعم للفضل أم المحتاج الفقير...؟ الماسك بمقاليد الكون كله أم من هو ذرة...؟ الحق المبين أم الباطل المفضوح...؟ ذو الآيات المحكمة التي تشمخ برصانجها على امتداد الزمن الطويل أم الذي يتضارب قوله في الحال

- | | |
|--|---------------------------------|
| (٢) الآية ٥٤ سورة القصص. | (٧) الآية ٣ سورة آل عمران (١٢). |
| (٣) الآية ٢٩ سورة الكهف. | (٨) الآية ٧٣ سورة الانعام. |
| (٤) الآية ١٠٨ سورة يونس. | (٩) الآية ٣٥ سورة يونس. |
| (٥) الآية ٣ سورة لقمان. | (١٠) الآية ٥٥ سورة يونس. |
| (٦) الأيتان ٣٨ و ٣٩ سورة الدخان (١١) الآية ٨٢ سورة يونس. | |

وينتقض بعد حين..؟ ثم «أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي» (١٣) ١٠.. «فذللكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال» (١٤) ١٠..

الالتزام الكامل الحسن

الايان العام

المسلم الجدير بهذا الوصف لا يؤمن بقسم من المنهج الالهي يحلو لمزاجه ويدع الآخر إذا عكر هذا المزاج وإنما هو يؤمن بالمنهج كله حسبما قرر الله تبارك وتعالى :
«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً» (١) .. فالاسلام يقتضي الايمان التام.. ١٠

أما خلاف هذا فلا يقبل.. يقول تعالى : «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون» (٢) «الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فالיום ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون» (٣).

الالتزام الكامل

وكذلك الالتزام إن لم يكن فعلياً ويشمل مفردات المنهج كلها دون استهانة بأي منها أو جحود لم يغفر شيئاً عن صاحبه إطلاقاً.. يقول تعالى : «ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون.. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» (٤) «ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين» (٥) «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور» (٦) «وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء» (٧).

حسن الأداء

ولا يقف الأمر عند أداء العمل كيفما اتفق تخلصاً من العبء وإنما هناك شرط الاخلاص في إجابة الأداء بكل ما يسع المرء من جهد وتمكن.. لماذا ١٠.. لأن الأداء هو أمانة.. وأنه (لا إيمان لمن لا أمانة له) (٨).

(١٣) الآية ٣٥ سورة يونس. (٢) الآية ٨٥ سورة البقرة. (٥) الآية ٨ سورة البقرة (٨) رواه (١٤) الآية ٣٢ سورة يونس. (٣) الآية ٥١ سورة الاعراف (٦) الآية ٢ سورة الملك. أحمد. (١) الآية ٣٦ سورة الاحزاب (٤) الأيتان ٢ و ٣ سورة الصف (٧) الآية ٥٨ سورة غافر

التقوى

اتقاء غضب الله

يقول تعالى: «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتق الله فأولئك هم الفائزون»^(١).. المؤمن يخشى الله تعالى فهو يتقي غضبه ويلتزم رضاه في أداء الطاعات ، لماذا...؟ لأنه يستشعر هيبة ذي الجلال والإكرام... ويعرف من هو الله فيتحاشى التعرض لغضبه... وبذا يكون جديراً بالفوز في الدنيا والآخرة...!

إخلاص العبادة للمخالق

يقول تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته»^(٢) «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين»^(٣) «ولا يخشون أحداً إلا الله»^(٤).

عبادة الخالق باخلاص هي صميم التقوى ، وهذا الأمر لا يتسنى إلا للمؤمن بفرد ربه الكبير المتعال عز وعلا بالخشية ، فالتقي مؤمن بصير قوي إذن...!

اجتناب ضرر النفس

وأول اجتناب لضرر النفس وأضخمه هو توقي سخط الله في الدنيا وعقابه يوم الحساب «والذين هم من عذاب ربهم مشفقون»^(٥) وبذلك يتحقق للتقي حفظ النفس من ضرر الآثام والشور والخبائث أيضاً.

من مظاهر التقوى

يقول تعالى: «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون»^(٦) «إنما يخشى الله من عباده العلماء»^(٧) «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»^(٨) «والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون»^(٩) «يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً»^(١٠).

«اعدلوا هو أقرب للتقوى»^(١١) «وأن تعفوا أقرب للتقوى»^(١٢) «فما

(١) الآية ٥٢ سورة النور. (٥) الآية ٢٧ سورة المعارج. (٩) الآية ٣٣ سورة الزمر.

(٢) الآية ١٠٢ سورة آل عمران (٦) الآية ١٧٧ سورة البقرة. (١٠) الآية ٢٩ سورة الانفال.

(٣) الآية ٥ سورة البينة. (٧) الآية ٢٨ سورة فاطر. (١١) الآية ٨ سورة المائدة.

(٤) الآية ٣٩ سورة الاحزاب. (٨) الآية ١١٩ سورة التوبة (١٢) الآية ٢٣٧ سورة البقرة.

استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب للمتقين» (١٣) «إن الأرض لك يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين» (١٤) «تلك النار الآخرة لجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» (١٥) .

فماذا نجد من مظاهر العقوى .. ؟

أولاً - أفعال الله معلقة بالإيمان التام ومقتضياته .

ثانياً - للصدق والعصديق .

ثالثاً - للمعلم .

رابعاً - نور البصيرة .

خامساً - العدل .

سادساً - الاستقامة مع الأعداء .

سابعاً - للتصبر .

ثامناً - للتواضع .

تاسعاً - للمغفور .

عاشراً - الإصلاح .

إلهي : للعقوى خير

يقول تعالى : «يا أيها آدم، قد أنزلنا عليك لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً . ولباس للعقوى، ذلك خير، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون» (١٦) .. إلهي أعطني الجسد .. ولباس جنطي القلب لأيهما أولى بالاهتمام .. ؟ كلاهما مهم ولكن إلهي : للعقوى خير .. أوليا للعقوى لباس فيدجناله وريشاً وزكاة في الأرض والسماء بين الناس وأمام الملأ الأعلى في الدنيا والآخرة .. !

إن قطع القماش وسولها التي تستر أجسادنا وتجميل مظاهرنا تتكاد لاتساوي شيئاً يذكر إذا .. ذلك لللباس الخفي للظلمة .. ! إن قماش الدنيا كله لا يزن خروفاً أمام مصطببات العقوى الجملة . قلت للفنانيس على سعيد السلوك والعطيق المفرد والجماعة .. !

خير الزاد : للعقوى

يقول تعالى : «وتزودوا فإن خير الزاد للعقوى ولعقوبن يا أيها الألباب» (١٧) ..

(١٣) الآية ٧ سورة النجم . (١٤) الآية ٨٣ سورة القصص . (١٥) الآية ١٩٧ سورة البقرة . (١٦) الآية ١٢٨ سورة الاعراف . (١٧) الآية ٢٦ سورة الاعراف .

التقوى زاد المؤمن ، به يشتد ثباته على الحق ويتعظم سعيه في ابتغاء رضوان الله تعالى .. إنه زاد لأهم وأطول وأشق رحلة يقطع بها الإنسان دنياه انتقلاً الى الآخرة حيث المصير الأبدي...!

ولا يعرف أحد أهمية هذا الزاد مثل أولي الأبواب ولا ينتفع به أحد كارتفاع هؤلاء لأنهم أكثر من سواهم علماً وخبرة وجداً...!

الحشوع

رهاقة الحس

حس المؤمن طليق ، إنه غير مكبل بقيود الأهواء الطائشة وغير مغطى بركام الشهوات الآثمة.. وكونه مرهف الحس يجعله يستشعر المعاني العلوية دائماً ويحلق في رحابها ليتنسّم عبير الحياة الفضلى...!

طهر الباطن

اتصاله القلبي المتواصل بالخالق عز وجل يجعل باطنه نظيفاً باستمرار لأنه موضع مناجاة القدوس وذكره باخلاص وتجرد ، فهو إذا اقرن خطيئة واكتسب إثماً يشعر بمرارة الفعل وروح يستغفر ويندم تائباً حتى يحس برضا الله يدب في أوصاله...!

إكهار الله

إنه لا يرى شيئاً في الكون أعظم من الله تعالى فالكل له عبيد وملوكه.. وبفعل هذا اليقين لمجد المؤمن يكبر مقام ربه ، فهو حين يطيع يستحضر هيبة المعبود ، وحين يخطئ يهوله سخط الجبار ، ولا يقر له قرار حتى يصلح ما أفسأ بحسنة تتبع السيئة وتحوها ، وعندما يقف في صلاة أو يدعو الله أو يذكر اسمه آناً الليل وأطراف النهار يملأ الحشوع كيانه بفعل الإحساس بسمو معاني الكلمات ولأنها خطاب موجه من عبد ضئيل جداً الى الخالق المنعم المدبر العلي القدير عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم...!

السماحة

نفس غير شحيحة

شح النفس يجعل فقر المرء بين عينيه.. والمؤمن معافى من هذا الداء المعيب لأنه يعتقد «إن الله هو الرازق ذو القوة المتين»^(١) و «ما عندكم ينفد وما عند الله

(١) الآية ٨٥ سورة النازيات.

باقية^(٢).. فالذي يهجم هو التصرف السليم بما بين يديه من ودائع ربانية ونعم وأفضال ، إنه لا يأخذ شيئاً معه عندما يغادر الدنيا سوى العمل الصالح مكتوباً في صحيفته ، أما الأموال فهي باقية حيث توزع بعده على مستحقيها الوارثين ، ومن هنا فهو حريص على إنفاق فضلة الرزق في وجوه البر ابتغاء رضوان الله بعد أن يؤدي الحقوق التي عليه كلها من قيام حسن بكفالة النفس والبيت وسد معقول لحاجات العيال وإخراج الزكاة الى أصحابها المعوزين في موعدها .
يقول تعالى : «الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»^(٣).

وفي الحديث النبوي (إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، واهدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى)^(٤) (أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله..؟) قالوا : يا رسول الله مامننا أحد إلا ماله أحب اليه.. قال : (فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخرا)^(٥).

وفي الحديث القدسي يقول ربنا : (يا عبيدي أنفق أنفق عليك ، يد الله مملأ لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض..؟ فإنه لم يغيض ما بيده)^(٦).

الجهود بالأعلى

بل إن أمر الاتفاق عند المؤمن يتجاوز الأموال الى النفس وهي أغلى وديعة لديه.. فهو يبذل نفسه رخيصة في سبيل الله عندما يتطلب الأمر ذلك ولا يبالي مادام الخالق عز وجل هو الداعي واليه المصير وعنده الجزاء الأوفى..
«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم»^(٧).

ملاحق النقصين

أولاً- المؤمن الذي يخضع حياته كلها لمنهج الله بكل تصرفاته يرى أن كل شيء يحصل في دنياه والكون كله إنما بمقادير الله ولذا فهو مطمئن القلب في سعيه مراتح البال إزاء النتائج.. أما غيره فيرى الدنيا مظنة انتهاب الأقوياء

(٢) الآية ٩٦ سورة النحل. (٤) رواد مسلم. (٦) رواد البخاري.

(٣) الآية ٢٧٤ سورة البقرة. (٥) رواد البخاري. (٧) الآية ١١١ سورة التوبة.

فلا يلتزم بمنهج شديد ولا يحفل بحراسة ضمير ويكون أشبه بلص يتخف
وراء الأتعة غارق في بحر متلاطم من الشرور...١٠

ثانياً- المؤمن يتعامل مع الحقائق الخالدة كتلك التي يزخر بها المنهج الإلهي
ويعتبرها أهم أشياء حياته فيمتلئ بالعز والرفعة والرضا.. أما غيره
فيتعامل مع المتاع الفاني وأشغال اللهو التافه حريصاً على دنياه حد الموت
يملؤه دائماً سعار الذل والتهافت والصفار...!

ثالثاً- المؤمن يهمله إرضاء الإله المغني المنعم المجزي ، وغير المؤمن لا يهمله إلا
اللهاث وراء نهم البطن والفرج فقط لا يبالي بحلال أو حرام ولا يكثر
لسخط الرقيب الحسيب وعقابه وعذابه...!

رابعاً- المؤمن راسخ اليقين برزق وتدبير الله ، فهو يرى إن المنعم بنسمات الهواء
مثلاً وهي عطاء هائل القيمة لأكرم وأقدر على الإنعام بكل ماسواها.. أما
غير المؤمن فقد حرم نفسه هذا الإعتقاد فطاش صوابه فهو كالمجنون المذعور
لا يحسب أن النعم تأتيه من خالق مدبر واسع قدير وإنما يظن واهماً أن كل
شيء يحاز بقوة الساعد والشطارة...!

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (نشر الله عبيد من أكثر لهما من المال
والولد.. فقال لأحدهما : أي فلان بن فلان.. قال : لبيك ربّ وسعديك.. قال : ألم
أكثر لك من المال والولد..؟ قال : بلى ، أي ربّ.. قال : وكيف صنعت فيما آتيتك
..؟ قال : تركته لولدي مخافة العيلة..!! قال : أما إنك لو تعلم العلم لضحكك
قليلاً ولبيكت كثيراً ، أما إن الذي تخوفت عليه قد أنزلت بهم.

ويقول للآخر : أي فلان بن فلان.. فيقول : لبيك أي ربّ وسعديك.. قال له
: ألم أكثر لك من المال والولد..؟ قال : بلى ، أي ربّ.. قال : فكيف صنعت فيما
آتيتك ..؟ قال : انفقت في طاعتك ووثقت لولدي من بعدي بحسن طولك..! قال :
أما إنك لو تعلم العلم لضحكك كثيراً ولبيكت قليلاً ، أما إن الذي وثقت به قد
أنزلت بهم) (٨).

(٨) رواه الطبراني.

ختام

الغيب الإلهي أفق واسع جداً.. نعم،
ولكن لأجل إعطاء فكرة تغني اللبيب فقد
حرصت على أطراف الموضوع وكتلياته قدر
المستطاع أما التفاصيل الدقيقة فلها مجالات
أخرى وافرة للمستزيد.

اسألك ربي المغفرة والرضوان ولك الحمد
والشكر والثناء حق قدرك الأعظم ، وصل وسلم
وبارك على مبلغ الأمانة الكبرى وجميع من
والاه في كل زمان كما يليق بشأنه لديك عدد
ما تعلم أنه الأكثر والأدوم.